

عبد الله أحمد قادري

أستاذ مشارك

في الجامعة الإسلامية

الرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ

وخطرُها

عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

مكتبة طيبة

المدينة المنورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مكتبة طيبة - المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - شارع الساحة

ت: ٨٢٢٣٣٠٤ - ص.ب: ٢١٨

المَقْدِمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(١)
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾^(٣)

أما بعد: ^(٤) فإن من أكبر نعم الله على عبده أن يهديه للإيمان ويشرح صدره للإسلام. وأن يديم عليه تلك النعمة حتى يلقاه وهو

(١) آل عمران آية ١٠٢ . (٢) سورة النساء آية ١ (٣) سورة الأحزاب ٧٠ - ٧١ . (٤) خطبة الحاجة للألباني.

على ذلك كما أن من أعظم الخسارة في الدنيا والآخرة أن يدخل الإنسان في دين الله ويذوق حلاوته ويستضيء بنوره، ثم يخرج مختاراً من النور إلى الظلمات فيترك دين الله ويدخل في دين الشيطان أياً كان ذلك الدين فيرتد على عقبيه بعد أن كان على نهج سوي .

﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾^(١) وقد دعاني ذلك الفضل العظيم الذي من الله به على عباده وهو الهداية للإسلام وهذا الشقاء المهلك الذي أغرى به الشيطان أن يكون بحثي هذا في هذا الموضوع الخطير موضوع الردة في الإسلام^(٢) . وقد اشتمل على خمسة أبواب :

الباب الأول فيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول: تعريف الردة وفيه مبحثان: المبحث الأول: تعريف الردة لغة . المبحث الثاني: تعريف الردة اصطلاحاً .

الفصل الثاني: معنى الإسلام، وفيه مبحثان: المبحث الأول: ما يشمله اسم الإسلام . المبحث الثاني من المسلم؟

الفصل الثالث: معنى الكفر وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الكفر لغة واصطلاحاً . المبحث الثاني:

(١) سورة تبارك آية ٢٢ .

(٢) كان هذا البحث إحدى المواد التي نال المؤلف بإمتحانه فيها شهادة الماجستير في قسم الفقه المقارن - جامعة الأزهر عام ١٣٩٤/٩٣ هـ . ٧٤/٧٣ م .

أنواع الكفر. المبحث الثالث: الخروج من كفر إلى كفر. المبحث الرابع: مواقف العلماء من التكفير وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
مذهب غلاة المرجئة المطلب الثاني: مذهب السلف.
الباب الثاني: الردة على مدار التاريخ الإسلامي وفيه فصلان:
الفصل الأول: يحتوي على ثلاثة مباحث - المبحث الأول خطر الردة.

المبحث الثاني: أقسام الردة، المبحث الثالث: الردة في العصر الأول وفيه مطلبان: المطلب الأول: الردة في عهد الرسول ﷺ.
المطلب الثاني: الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
الفصل الثاني: الردة في العصور الأخرى وفيه تمهيد ومبحثان:
المبحث الأول الردة في الأندلس. المبحث الثاني: الردة في هذا العصر وفيه مطلبان.
المطلب الأول - نظرة عامة. المطلب الثاني: الفرق بين الردة الحاضرة وغيرها.
الباب الثالث: أركان الردة. وفيه فصلان:

الفصل الأول: الركن المادي - وفيه مباحث: الأول - ما يتعلق بالله وفيه مطالب:
المطلب الأول: إنكار وجوده تعالى وتنزيهه.
المطلب الثاني: إنكار أسمائه وصفاته. المطلب الثالث: الإشراك به.

المطلب الرابع : إعتقاد صدور ظلم منه .

المطلب الخامس : الإستكبار عن عبادته .

المطلب السادس : الاستهزاء بأسمائه وصفاته .

المطلب السابع : عدم محبته .

المطلب الثامن : إعتقاد أن لغيره أن يشرع للعباد ما لم يأذن به .

المبحث الثاني : ما يتعلق بكتبه . وفيه مطلبان :

المطلب الأول - عدم الإيمان بكتبه إجمالاً أو تفصيلاً .

المطلب الثاني : ما يتعلق بالقرآن .

المبحث الثالث : ما يتعلق بالرسل . المبحث الرابع : ما يتعلق

بالعبادات التي علم وجوبها من الدين بالضرورة . المبحث الخامس :

ما يتعلق بالمحرمات المجمع على تحريمها .

الفصل الثاني : القصد الجنائي وفيه المبحث الأول : حكم

الجاهل .

المبحث الثاني : حكم المخطيء . المبحث الثالث : حكم المتأول .

المبحث الرابع : حكم المكره .

المبحث الخامس : حكم الهازل .

الباب الرابع : شروط الردة وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حكم المجنون . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الجنون المستمر .

المبحث الثاني : الجنون غير المستمر .

الفصل الثاني : حكم الصبي وفيه مبحثان :

المبحث الأول - الصبي غير المميز . المبحث الثاني : الصبي المميز .
الفصل الثالث : السكران .

تنمة : لا تثبت الردة إلا بالإقرار أو البينة .

الباب الخامس : بعض أحكام المرتد وبه فصلان :

الفصل الأول : توبة المرتد وإستتابته وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توبة المرتد . المبحث الثاني : إستتابة المرتد .

المبحث الثالث : مدة الامهال أو الإستتابة .

الفصل الثاني - ما يترتب على ثبوت الردة - وفيه تمهيد والمباحث

التالية :

المبحث الأول : قتل المرتد . المبحث الثاني . من يتولى قتل المرتد .

المبحث الثالث : ملك المرتد . المبحث الرابع : مآل ماله بعد موته .

المبحث الخامس : تصرفات المرتد .

المبحث السادس : حكم الزوجين المرتدين إذا لحقا بدار الحرب .

المبحث السابع : حكم أولادهما .

* نتائج البحث

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد فقد نفذت نسخ هذه الرسالة في طبعتها الأولى، وما أنا أقدمها للطبعة الثانية راجياً أن ينفع الله بها قارئها في عصر انتشر فيه الكفر والفسوق والعصيان وصحبا فيه شباب المسلمين صحوحة يحتاج معها إلى ضوابط شرعية في معتقده وسلوكه وبخاصة ما يتعلق بالردة عن الإسلام التي أفرط بعض طلبة العلم في الحكم بها على من ليس بمرتد، وإن كان مرتكباً بعض الكبائر، وفرط في عدم الحكم بها على من هو مرتد آخرون، وهذه الرسالة وإن لم تكن وافية بمباحث الردة عن الإسلام فإنها تلقى الضوء على أهم مباحثها، كما تبين خطرها على الإسلام والمسلمين، أسأل الله أن ينفعني وقارئها بها وأن يكتب لي ثواب صوابي فيها ويغفر لي خطايي الذي لم أتعمد فيها وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

المدينة المنورة ١٤٠٤/٩/٢٧

المؤلف

د. عبدالله بن أحمد قادري

الباب الأول

وفيه ثلاثة فصول:

- ١ - الفصل الأول - تعريف الردة
- ٢ - الفصل الثاني - معنى الإسلام
- ٣ - الفصل الثالث - معنى الكفر

الفصل الأول

تعريف الردّة

وفيه مطلبان: المطلب الأول

تعريفها لغة:

«الردة في اللغة: صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رددته فارتد، قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١).

فمن الرد بالذات قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نَهَوْنَا عَنْهُ﴾^(٢).
ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله: ﴿يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣).
وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا﴾^(٤)، أي يرجعونكم إلى حال الكفر بعد أن فارقتموه.

والارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه لكن الردّة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾^(٥).

وقال: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ﴾^(٦).

(١) يوسف ١١٠ (٢) الأنعام ٢٨ (٣) آل عمران ١٤٩ (٤) البقرة ١٠٩ (٥) محمد ﷺ ٢٥

(٦) البقرة ٢١٧

﴿فارتد بصيراً﴾^(١)، أي عاد إليه بصره.
والردة اسم من الارتداد، وهو التحول والرجوع، ومنه الرجوع
عن الإسلام^(٢).

المطلب الثاني: تعريفها اصطلاحاً.

الردة في الاصطلاح: (رجوع المسلم عن الإسلام إلى الكفر)، أي
كفر كان.

والمرتد: هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر^(٣).
والتعريف، كما قال بعضهم: (أما ركنها - يعني الردة - فهو إجراء
كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان) وأردف قائلاً: (إذ الردة
عبارة عن الرجوع عن الإيمان، فالرجوع عن الإيمان يسمى ردة).
وهذا التعقيب المفيد للعموم يشبه الاستدراك على التخصيص
السابق.

وقد حمل بعض المعلقين على حاشية رد المحتار هذا التقييد محملاً

(١) يوسف ٩٦

(٢) الفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٩١ وأنظر لسان العرب لابن منظور،
ترتيب يوسف خياط، وتديم مرعشي (٨/ ١١٥٠)، والقاموس المحيط، باب الدال فصل الراء
(٢٩٤/ ١) والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٢١٤).

(٣) الأم للإمام الشافعي، ومختصر المزنى بإمضاء (٥/ ١٦٥) (٦/ ١٤٥) المبسوط
للسرخسي (١٠/ ٩٨) وتكملة المجموع (١٨/ ٥) فتح القدير لابن الهمام (٦٨٦)، رد المحتار
(٤/ ٢٣١)، حاشية الدسوقي (٤/ ٣٠١)، المغني لابن قدامة (٩/ ٣) مطالب أولي النهى (٦/
٢٧٥) الكافي (٣/ ١٥٥) المقنع (٣/ ٥١٤) بدائع الصنائع (٩/ ٤٢٨٢)، المحل (١١/ ١٨٨)،
منتهى الارادات (٢/ ٤٩٨).

قد يبرره، حيث قال: هذا بالنسبة إلى الظاهر الذي يحكم به الحاكم، وإلا فقد تكون بدونه كما لو عرض له إعتقاد باطل، أو نوى أن يكفر بعد حين. اهـ ولكنه متعقب أيضاً، فإن الحاكم يجب أن يحكم بالردة على من تعمد إلقاء الصحف في القاذورات إذا توفرت فيه شروط الردة، ولو لم يتلفظ بالكفر.

وبهذا تعرف خطأ القول: (إن كلام الإنسان هو السبيل الوحيد لمعرفة مراده).

فإن كثيراً من الأفعال تقوم مقام الأقوال، بل قد تكون أصرح دلالة على مراده من اللفظ، وهذا ما اعتبره أكثر الفقهاء، قال في مختصر خليل: (الردة كفر المسلم بصريح من القول.. أو لفظ يقتضيه.. أو فعل يتضمنه، كإلقاء الصحف بقذر)^(١).

(١) بدائع الصنائع (٤٣٨٢/٩) حاشية رد المحتار (٢٣١/٤) حاشية الدسوقي (٣٠١/٤)، جند الله أخلاقاً لحوا (٤٣٣).

الفصل الثاني معنى الإسلام

وفيه مطلبان: المطلب الأول - ما يشمل اسم الإسلام.
بعد أن تبين لنا أن الردة هي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر لا بد
من كلمة موجزة عما يشمل اسم الإسلام، ولست أريد هنا الخوض
في اختلاف العلماء في الفرق بين الإسلام والإيمان، بل أثبت خلاصة
ما فهمت إنه الصواب إن شاء الله، وهو أن الظاهر من تتبع النصوص
إن كلا منها يطلق على الآخر إذا انفرد، فإذا اجتمع اُفِرَادُ بالإيمان
الإعتقاد القلبي، وبالإسلام الأعمال والأقوال الظاهرة كما في حديث
جبريل^(١). والمقصود هنا أن الإسلام يطلق إطلاقين.

الإطلاق الأول: عام يراد به معنى الإستسلام لله تعالى بالتوحيد،
والخضوع له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وهو بهذا المعنى دين
جميع الرسل وأهل السموات وأهل الطاعة في الأرض، كما قال تعالى:
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢) وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلًا﴾^(٣)، وقال: ﴿يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٤)، وقال

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٩/٧) وكذا ص ١٣ وص ٢٦٣ من نفس الجزء، ش
النووي على صحيح مسلم (١/١٤٨). (٢) آل عمران ١٩ (٣) النساء ١٢٥. (٤) المائدة ٤٤

عن موسى لقومه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾^(١). وقال عن الخليل: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِي وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾^(٢).

الإطلاق الثاني: يراد به ذلك، ويراد به معه معنى خاص هو: التفصيلات التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قيشمل: العقيدة، والعمل والمعاملة والأخلاق وغيرها.

فدين الله واحد في أصوله الاعتقادية والعملية - في الجملة - ثم تختلف شريعة كل نبي في تفاصيلها حسب المصلحة التي يعلمها الله لكل أمة.

وقد نسخت شريعة نبينا ﷺ كل الشرائع السابقة وأصبحت مهيمنة علينا فليس لأحد إتباع غيره، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٣) الآية.

وقد جمع الرسول ﷺ أصول الدين الإعتقادية والعملية في حديث جبريل المشهور، وهو في صحيح مسلم^(٤) قال سيد سابق في بيان

(١) يونس ٨٤ (٢) البقرة ١٣٢ وانظر مجموع فتاوي ابن تيمية (٧/٢٢٣، ٦٣٥)، إقتضاء الصراط المستقيم (٤٥٠)، مبادئ الإسلام للمودودي (ص ٨).

(٣) المائدة ٤٨ وانظر مجموع الفتاوي (٧/٦٣٦، ٦٩١) و (٣/٤٧٤) مدارج السالكين، وإقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٥٥).

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ١٩).

شمول الإسلام: الإسلام عقيدة وشريعة، والعقيدة تنتظم الإيمان بالإلهيات، والنبوات والبعث والجزاء، والشريعة تنتظم: العبادات.. والآداب، والأخلاق والمعاملات المدنية.. والروابط الأسرية.. والعقوبات الجنائية.. والعلاقات الدولية.. وهكذا نجد أن الإسلام منهج عام ينتظم شؤون الحياة جميعاً.. (١) قلت: ومن أوضح النصوص الدالة على شمول الإسلام قوله ﷺ: ﴿الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق﴾ (٢).

المطلب الثاني: من المسلم؟

بعد أن عرفنا معنى الإسلام حسب ما يقتضيه المقام يجب أيضاً أن نعرف المسلم الذي يعتبر مرتداً إذا رجع عن الإسلام إلى الكفر.

الداخلون في الإسلام ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من دخل فيه ولم يصل إلى درجة المعرفة بحقائق الإيمان لعدم تيسر ذلك له، كمن دخل فيه حديثاً ولم يتمكن من تعلم ما يجب عليه، وهو في حقيقة الأمر ملتزم طاعة الله ورسوله، بحيث لا يتأخر عن أداء الواجب وترك المحرم عند علمه بهما، فهذا مسلم ظاهراً وباطناً، ولكنه ليس مؤمناً حقاً، وعلى أمثاله حمل بعض العلماء الآية الكريمة:

(١) فقه السنة (١/٤٥١).

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١/٩)، (٢/٦) مسلم بشرح النووي.

﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾^(١) أي الإيمان المطلق.

القسم الثاني: من دخل في الإسلام ظاهراً، وهو في الباطن باق على كفره وهؤلاء هم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾^(٢) الآية.

الصنف الثالث: من دخل في الإيمان وعلم حقائقه وعمل بها، وهو الذي يسمى مؤمناً حقاً، كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً﴾^(٣).

فالصنفان الأول، والثالث مسلمان ظاهراً وباطناً إلا أن الصنف الأول ناقص الإيمان فليس بمؤمن حقاً لعدم استكمال العلم والعمل. والثالث مؤمن حقاً لاستكمالهما. أما الصنف الثاني فمسلم ظاهراً، وكافر باطناً يأخذ في ظاهرة أحكام الإسلام وفي باطنه أحكام الكفر^(٤).

وليس في بيان معنى الإسلام والمسلم إستطراد إذ أن الردة لا تعرف إلا بمعرفة الإسلام والمسلم، فليس كل ما يخالف الإسلام - أي جزئية

(١) الحجرات ١٤.

(٢) البقرة ٨.

(٣) الأنفال ٢، ٣، ٤.

(٤) الفتاوى (٢٣٨/٧، ٢٨٥، ٣٥١، ٤٧٥)، (٧١١/٢) التشريع الجنائي.

منه - يعتبر ردة، ولا يشترط في بقاء المسلم أن يكون كاملاً في إسلامه،
إذ من الإسلام الأصول الإعتقادية والعملية ومنه الفروع كما مضى
والمخالف قد يخالف عن اعتقاد ظاهر أو باطن وقد يخالف عن غير
ذلك، والحكم يختلف باختلاف القصد والأصل والفرع والظاهر
والباطن، وسيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله . .

الفصل الثالث

معنى الكفر

وفيه أربعة مباحث: المبحث الأول معناه لغة واصطلاحاً:
الكفر في اللغة: الستر والتغطية، ومن ذلك تسمية الفلاح كافراً،
لأنه يستر البذر في الأرض ويغطيه ومنه قول الشاعر:
يعلو طريقة متنها متواتر
في ليلة كفر النجوم غمامها^(١).
أي سترها وغطاها، ويسمى الليل كافراً لأنه يغطي ما على وجه
الأرض بظلامه ويستره ويقال: كفر درعه بثوبه اذا غطاها به ولبسه
فوقها.
وهو في الشرع: تغطية الحق الذي جاء به الرسول ﷺ - وأعلى هذا
الحق توحيد الله سبحانه- بالباطل الذي جاء به ابليس لعنه الله- وأقبح
هذا الباطل الشرك به تعالى.
فالكافر هو الذي يغطي بباطله، من شرك وغيره، حق الله تعالى،
من توحيد وغيره من الطاعات، جحداً وعناداً، كما قال تعالى:
﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾^(٢). وقال: ﴿وجحدوا بها

(١) معلقة لبید بن ربیعۃ البیت رقم ٤٢

(٢) فصلت ١٧

واستيقنتها انفسهم﴾^(١).

المبحث الثاني: أنواع الكفر:

الخروج عن الاسلام- في الجملة- قسمان: شرك وكفر، وكل منهما قسمان: أكبر وأصغر.

فأما الكفر والشرك الأكبران فانها يخلدان صاحبهما في النار، واذا صدرا من مسلم يعتبر مرتدأ. أما الكفر والشرك الأصغر فلا يخلدان صاحبهما في النار، ولا يعتبر من صدرا منه مرتدأ، ولكنها خطران اذ قد يقضيان الى الشرك والكفر الأكبرين^(٢).

والكفر الأكبر تارة يكون بالتكذيب- اي تكذيب الرسول ﷺ فيما جاء به- وغالباً يكون باللسان مع اعتقاد صدق الرسول ﷺ أو غيره من الرسل، كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾، وقال ﴿فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾^(٣). وتارة يكون عن إباء واستكبار، ككفر ابليس وغيره ممن عرف صدق الرسول واستكبر عن الايمان به كما قال تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾^(٤).

وتارة يكون عن اعراض- أي تعمد عدم سماع الدعوة الى الله، كما قال تعالى: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾^(٥)، وقال: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾^(٦).

(١) النمل ١٤

(٢) حاشية ابن عابدين (٢٢٣/٥) مبادئ الاسلام للمودودي ص ٩.

(٣) الانعام ٣٣ (٤) البقرة ٨٩ (٥) فصلت ٢٦ (٦) المدثر ٤٩

وتارة يكون عن شك، وقد نفى الله تعالى عن كتابه الشك، كما قال تعالى: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾، واخبر عن المشركين انهم ﴿في ريبهم يترددون﴾^(١) وتارة يكون عن نفاق، وذلك ان يظهر الاسلام، وهو في الواقع كافر.

والشرك نوعان: شرك أكبر لا يغفره الله الا بالتوبة- مثل الكفر الأكبر- وهو أن يسوى بين الخالق والمخلوق في العبادة- ولو اعتقد ان الله هو الخالق الرازق النافع الضار، والتسوية تكون في المحبة والتعظيم.

وشرك أصغر، وهذا لا يخرج صاحبه من الاسلام، ولكنه وسيلة إلى ذلك كما مضى ومن أمثلته: الحلف بغير الله إذا لم يكن الحالف معظماً للمحلول به كتعظيم الله فإن كان معظماً للمحلول به كتعظيم الله فهو شرك أكبر.

وقد نهى الرسول ﷺ عن الحلف بغير الله وكان أصحاب رسول الله ﷺ يحذرون ذلك ويحذرون منه الى حد ان أحدهم يقول: (لأن احلف بالله كاذباً احب الي من أن أحلف بغيره صادقاً)^(٢).

المبحث الثالث

الخروج من كفر الى كفر آخر:
من تعريف الردة السابق يتضح ان المعتبر هو رجوع المسلم عن الاسلام الى الكفر وان الانتقال من كفر الى كفر آخر لا يعتبر ردة،

(١) التوبة ٤٥ (٢) مدارج السالكين (١/٣٢٥-٣٤٧).

فهل الأمر كذلك؟

أما الرجوع عن الاسلام الى الكفر فلا خلاف في اعتباره ردة، وأما الانتقال من كفر الى كفر آخر ففيه خلاف بين العلماء أذكر خلاصة ذلك فيما يلي:

فذهب الحنفية والمالكية، وبعض الشافعية الى ان المنتقل من كفر الى كفر يقر على ما انتقل اليه ولا يتعرض له لامور:

الأول: ان الكفر ملة واحدة والله يقول: ﴿والذين كفروا بعضهم اولياء بعض﴾^(١) ويقول: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ بعد قوله: ﴿قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون﴾^(٢) وذلك شامل الكفر كله كما هو ظاهر.

الثاني: ان الكافر الخارج من دين الى آخر كالنصراني يتهود او العكس اذا اعتبر مرتداً لزم اكراهه على الإسلام وذلك ممنوع بنص القرآن، كما قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾^(٣).

الثالث: قوله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث) احداها: (التارك لدينه المفارق للجماعة)^(٤)، فقوله: (التارك لدينه) بعد قوله: (لا يحل دم امرئ مسلم) يدل على أن المقصود بالدين هو دين الاسلام وهو المراد في الحديث الآخر: (من بدل دينه فاقتلوه). وذهب الظاهرية وبعض الشافعية، ورواية عن أحمد ان المنتقل لا يقر، ولا يقبل منه الا الاسلام واستدلوا بقوله ﷺ: (من بدل دينه

(٣) البقرة ٦٥٢.

(١) الأنفال ٧٣

(٢) الكافرون ٢، ٣، ٦. (٤) (٢٠٩٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

فاقتلوه^(١) أخذوا بعموم الحديث، وقد رأيت انه يجب حمل الدين في الحديث على دين الاسلام لما مضى من الأدلة، ولو أخذ بعموم الحديث لكان شاملاً لمن بدل دينه الكفر الى الاسلام، وهو غير مراد بالاجماع، وما دام قد دخله التخصيص بهذا فلا مانع من تخصيصه بأدلة أخرى كما مضى.

وذهب بعض الشافعية انهم لا يقرون على كفرهم الذي انتقلوا اليه الا انهم يرون ان ينبذ اليهم عهدهم، ويخرجون الى دار الحرب، فاذا ظفر بهم لا يقبل منهم الا الاسلام، وروى انه يكتفي منهم بالرجوع الى الدين السابق.

ويروى عن الامام أحمد، وهو قول للشافعي انه ان انتقل من دين اعلی الى أدنى كالنصراني او اليهودي ينتقل الى المجوسية فلا يقبل منه الا الاسلام، وان انتقل من دين أدنى، كالمجوسي أو الوثني ينتقل الى دين اعلی كالنصرانية أو اليهودية أو الى دين يساوى دينه كالنصراني ينتقل الى اليهودية أو العكس فإنه يقر على ذلك.

ولا أرى لهذا القول دليلاً يمكن الاستناد اليه لهذا التفصيل، وكون أهل الكتاب يمتازون ببعض الأحكام بأدلة خاصة لا يسوغ التفرقة المذكورة^(٢).

المبحث الرابع:

مواقف العلماء من التكفير:

(١) (٢٦٧/١٢) فتح الباري.

(٢) الموطأ (٧٣٦/٢) حاشية الدسوقي (٣٠٨/٤) فتح الباري (٢٧٢/١٢) حواشي تحفة المحتاج على المنهاج (٨١٨) حاشية رد المحتار (٢٤٧/٤) فقه السنة (٤٥١/٢).

سبق أن الاسلام قول واعتقاد وعمل وان له أصولاً وفروعاً،
وضده الكفر والمعاصي وأمر التكفير خطير، كما ان التساهل الذي
يؤدي الى عدم تكفير الكافر خطير كذلك. والواجب الوقوف عند
نصوص الشريعة وقواعدها، دون افراط أو تفريط، والحكم في ذلك
لله، لا لغيره.

وقد تشعبت آراء الطوائف في هذا الباب: فمنهم من أفرط، ومنهم
من فرط، ومنهم من اعتدل^(١).

والمقصود هنا ذكر هذه الآراء باختصار ليتضح حكم مرتكب
الذنب على اختلاف أنواعه عند كل طائفة: وفي هذا المبحث ثلاثة
مطالب.

المطلب الأول:

مذهب الخوارج والمعتزلة:

يرى الخوارج والمعتزلة أن أي كبيرة يرتكبها المسلم تكون مخلدة له
في النار. الا أن الخوارج يطلقون عليه الكفر في الدنيا والآخرة،
ويجرون عليه أحكامه كلها. والمعتزلة لا يطلقون عليه الكفر ولا
الايان، بل اسم الفسق في الدنيا، واستدلوا بنصوص الوعيد.

المطلب الثاني:

وعلى رأس هذه الطائفة جهم بن صفوان، اذ يرون أن مجرد
التصديق القلبي والعلم ايمان لا يضر معه أي ذنب، ولو كان سب الله

(١) حاشية ابن عابدين (٢٢٩/٤، ٢٣٨) ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٦٦/١٢ - ٥٠١)
(٤٣٥/١٠).

ورسوله، وإهانة المصحف ومعاداة المؤمنين وموالات الكافرين .
واستدلوا على ذلك بنصوص الوعد، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾^(١)

المطلب الثالث:

مذهب جماهير سلف الأمة وخلفها.

وهذا المذهب يخالف المذهبين السابقين ويعتبر وسطاً بينهما، فإذا
كان المذهب الأول قد افترط ناظراً الى نصوص الوعيد وحدها، والثاني
قد فرط ناظراً الى نصوص الوعد وحدها، فهذا المذهب اعتدل لجمعه
بين نصوص الوعيد ونصوص الوعد معاً، فترل كلا منهما منزلته .
فالذنب الذي يخلد صاحبه في النار ويجعله مرتداً عن الاسلام هو
الكفر والشرك الأكبران وما عداهما من الكبائر لا يخرج فاعله من الملة
ولا يخلده في النار، بل هو تحت مشيئة الله، ان شاء عذبه بقدر ذنبه ثم
اخرجه من النار وأدخله الجنة، وان شاء غفر له ابتداء .

وعلى هذا المذهب الحق دلت نصوص الكتاب والسنة، كما قال
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ﴾^(٢) . وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا
بَيْنَهُمَا﴾ الى ان قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(٣) .

وصح عن النبي ﷺ أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة^(٤)
وانه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان^(٥) .

(١) الزمر ٥٣

(٤) (١٩١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

(٢) النساء ٤٨ .

(٥) (٥١١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

(٣) الحجرات ٩ ، ١٠

وفي هذه النصوص وأشباهها رد على الخوارج والمعتزلة كما هو واضح لا يحتاج الى مزيد بيان . وهناك نصوص كثيرة تدحض مذهب غلاة المرجئة قال تعالى : ﴿والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثمًا . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيمًا﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله ^{عليه} ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾^(٢) ، والنصوص في هذا الباب لا تحصى كثيراً فأهل الحق عملوا بالنصوص كلها، وأهل الباطل اقتصروا فأخذت كل طائفة طائفة منها^(٣).

(١) الفرقان ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) النساء ٩٣ .

(٣) راجع في هذا البحث : شرح النووي على مسلم (١/١٥٠) . وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨٨/٧ ، ٢٢٢ ، ٢١٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٨) وكذا (٤٦٦/١٢) و (٢٣٠/١٠) .
وشرح الطحاوية (ص ٢٩٣ ، ١١٨ ، ٤٧٩ ، ٥٠١) .

الباب الثاني

الردة على مدار التاريخ الإسلامي

وفيه فصلان:

- ١- الفصل الأول- خطر الردة، اقسام الردة، الردة في العصر الأول.
- ٢- الفصل الثاني- الردة في العصور الأخرى.

الفصل الأول

يشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خطر الردة:

دلت الأدلة القاطعة والشواهد الواضحة أنه لم يعد في الأرض دين حق سوى دين الإسلام، الشخص الذي يدخل في هذا الدين ويعرفه عن كُتب معرفة تامة، ويذوق طعمه وحلاوته ويقطع بصدقه وعدله، ويستضيء بنوره في خضم الحياة، ثم ينكص بعد ذلك على عقبه ويخرج عن هذا الدين الذي هو النور الهادي إلى غيره من الشرك والضلال فيتخبط في الظلمات التي أنقذه الله منها. هذا الشخص سيكون - ولا شك - سبباً في هدّ بنيان نظام حياة فريدة في الأرض، وفي تخلخل صف أمة هي خير أمة أخرجت للناس على ظهر أرض، ومن هنا كان الخطر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(وأما المرتد فالمبيح عنده - أي المبيح للقتل عند الإمام أحمد - هو الكفر بعد الإيمان وهو نوع من الكفر، فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه فقتله حفظ لأهل الدين، وللدين، فإن ذلك يمنعهم من النقص ويمنعهم من الخروج بخلاف من لم يدخل فيه^(١)).

(١) مجموع الفتاوى (١٠٣-٩/٢٠)، (٤١٣/٢٨). راجع أيضاً المبسوط (٩٨/١٠)، وبدائع الصنائع (٤٣٨/٥٩).

وفي المسؤولية الجنائية:

(جريمة الردة في الفقه الإسلامي فيها شيء من المماثلة لجريمة تغيير النظام الاجتماعي في الفقه الغربي كالفوضوية . وغيرها من المذاهب الهدامة)^(١) وفي فقه السنة لسيد سابق:

(الإسلام منهج كامل للحياة: فهو دين ودولة وعبادة وقيادة، ومصحف وسيف، وروح ومادة، ودنيا وآخرة، وهو مبني على العقل والمنطق، وقائم على الدليل والبرهان، وليس في عقيدته ولا شريعته ما يصادم فطرة الإنسان، أو يقف حائلاً دون الوصول إلى كماله المادي والأدبي .

ومن دخل فيه وعرف حقيقته، وذاق حلاوته، فإذا خرج منه وارتد عنه بعد دخوله فيه وإدراكه له كان في الواقع خارجاً على الحق والمنطق ومنكر للدليل والبرهان وحائداً عن الحق السليم والفطرة المستقيمة . والإنسان حين يصل إلى هذا المستوى يكون قد ارتد إلى أقصى دركات الانحطاط ومثل هذا الإنسان لا ينبغي الحفاظ على حياته، ولا الحرص على بقائه لأن حياته ليست لها غاية كريمة ولا مقصد نبيل ؟ .

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الإسلام وهو منهج عام للحياة ونظام شامل للسلوك الإنساني لا غنى له من سياج يحميه، ودرع يقيه، فإن أي نظام لا قيام له إلا بالحماية والوقاية والحفاظ عليه من كل ما يهز أركانه ويزعزع بنيانه، ولا شيء أقوى في حماية النظام ووقايته من منع الخارجين عليه لأن الخروج عليه يهدد كيانه،

(١) المسؤولية الجنائية (١٨) لأحمد فتحي بهنسي .

ويعرضه للسقوط والتداعي .

إن الخروج على الإسلام والارتداد عنه إنما هو ثورة عليه والثورة عليه ليس لها من جزاء إلا الجزاء الذي اتفقت عليه القوانين الوضعية فيمن خرج على نظام الدولة وأوضاعها المقررة . إن أي إنسان سواء كان في الدول الشيوعية أم الدول الرأسمالية إذا خرج على نظام الدولة فإنه يتهم بالخيانة العظمى لبلاده والخيانة العظمى جزاؤها الإعدام .

فالإسلام في تقرير عقوبة الإعدام للمرتدين منطقي مع نفسه ومتلاق مع غيره من النظم^(١) وبالجملة ففي الارتداد عن الإسلام تمرد على النظام ، وإضعاف للجماعة ، وتكثير لسواد الأعداء وإفشاء لأسرار المسلمين الخطيرة ، وغير ذلك مما لا يتسع له المقام .

المبحث الثاني : أقسام الردة :

(الردة قسمان)

القسم الأول : ردة فردية .

والردة الفردية هي أن يرتد فرد أو أفراد متفرقون لا تجمعهم رابطة نظام ولا تعاون - كما يحصل ذلك في كل الأزمنة . وخطر هذه الردة أقل من غيرها ، لأن الفرد أو الأفراد الذين لا تجمعهم رابطة تنظيم وتعاون لا يشكلون خطراً عاماً على الأمة الإسلامية^(٢) .

بل يكون الفرد أو الأفراد بهذا الشكل عرضة للقضاء عليهم أو تشردهم إذا كان المسلمون الذين حصلت الردة في ديارهم واعين

(١) فقه السنة (٢/٤٥٧) .

(٢) راجع الأحكام السلطانية للإمام الماوردي ص ٥٥ ، ٥٦ .

لخطر الردة.

القسم الثاني: ردة جماعية:

والردة الجماعية هي أن يخرج من الإسلام جماعة مترابطة يرأسها أحد أفرادها ويقفون صفاً واحداً لحرب من يدعوهم إلى العودة إلى الإسلام، كما هو شأن - مسيلمة وقومه، وقبله الأسود العنسي وقومه. ولا شك أن خطر هذا القسم من الردة في غاية الأهمية إذ إن الجماعة المرتدة تقف محاربة مستميتة لا تتمكن الدولة بكاملها من ردعها إلا بقتال واستبسال ونفقات باهظة، وكلا الردين الفردية والجماعية حصلتا في عهد الرسول ﷺ^(١).

المبحث الثالث: الردة في العصر الأول.

وفيه مطلبان، المطلب الأول:

الردة في عهد الرسول ﷺ:

فقد حصلت الردة الفردية في عهده ﷺ إذ ارتد الحارث بن قيس، وطائفة معه، وعبد الله بن أبي سرج، وقد عاد هذا إلى الإسلام عام الفتح.

وحصلت الردة الجماعية عند ظهور الأسود العنسي المتنبّي واتباعه، وهم خلق كثير^(١). كما نقل أنه ارتد في عهده ﷺ بنو حنيقة أتباع مسيلمة الذي كتب للرسول ﷺ كتاباً أثبت لنفسه فيه الرسالة، ويعث به اثنين من قومه فسألها الرسول ﷺ عن رأيها في

(١) مجموع الفتاوى (٤٦/٢٢)، البداية والنهاية (٣٠٧/٦).

مسيلمه فقالا: نقول كما قال، فقال: أما والله ولولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما^(١).

المطلب الثالث: الردة في عهد أبي بكر:

حصلت في عهد أبي بكر رضي الله عنه ردة جماعية عظيمة ذات قيادة، وأعداد هائلة مقاتلة، حيث لم يبق في الجزيرة العربية على الإسلام إلا أهل الحرمين والطائف مع ما نجم من النفاق في المدينة وما حولها.

فمن العرب من تنبأ والتف حوله كثير من الاتباع، وقاتلوا تحت رايته، وكانت هذه هي الردة الحقيقية.

وممنهم من تمرد على نظام الزكاة، وفي كون هؤلاء مرتدين خلاف بين العلماء، والظاهر أن مانعي الزكاة فقط غير مرتدين، لأنهم متأولون، فقد احتجوا بقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾^(٢) قالوا: فلا ندفع زكاتنا إلا لمن صلاته سكن لنا.

وعلى هذا فإطلاق الردة على هؤلاء من باب التغليب. ولقد وقف الصديق رضي الله عنه من المرتدين موقفاً فذاً كانت نتيجته القضاء على شوكة المرتدين وإنهاء الردة بعد جهود شاقة. حقق الله للمسلمين من ينهي الردة ويقضي على المرتدين كأبي بكر في كل زمان ومكان^(٣).

(١) روح المعاني للألوسي (١٦٠/٦) البداية والنهاية (٥١/٥).

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٣/٣٠٤، ٣١١).

الفصل الثاني

الردة في العصور الأخرى

وفيه مبحثان : المبحث الأول- ردة الأندلس :
كانت الردة توجد في كل العصور الاسلامية ، ولكنها فردية في
الغالب ، فقد وجد من ينتقد حد السرقة ويشكك فيه- مثلاً- ووجد من
أدعى النبوة كما وجد من تنصر أو ألحد .
وكانت أشنع ردة وجدت في التاريخ الإسلامي ردة الأندلس المؤلمة
التي لم تجد من ينهيها ويخلص المسلمين منها ، بل وجدت من عمقها
واستعمل أقصى أنواع التنكيل وأبشع أساليب القتل والتعذيب
لإجبار المسلمين على ترك دينهم والدخول في النصرانية وعلى إدخال
أولادهم الصغار في مدارس النصارى لتلقى تعاليمها وتحريم
تعليمهم الدين الإسلامي فكانت ردة جماعية هائلة أفقدت المسلمين
أرضاً لا زالت تحن الى ذكر الله والدينونة له وحده ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم (١) .

المبحث الثاني : الردة في هذا العصر

وفيه مطلبان : المطلب الأول- نظرة عامة .
وجاءت الطامة الكبرى في هذا العصر الذي يتبجح به المتبجحون

(١) حاضر العالم الاسلامي (٧٢- ٥٨) .

بأنه عصر النور وينسبون إليه كل رقي وتقدم إلى درجة أنه إذا ذكر القرن العشرون انحنت لذكره الهامات وأصغت لإسمه الأذان . نعم لقد حقق فيه الانسان- باستدراج من الخالق- ما لم يحققه في أي عصر مضى من الاكتشافات العلمية المادية . ولو كان هذا الانسان الذي حقق هذه الأمور يأخذ توجيهاته من ربه الذي خلقه وخلق هذا الكون وسخره له لكانت هذه الاكتشافات نعمة على بني الإنسان كلهم ، وليست نقمة شقاء كما هو الواقع . فمع ما حصل من الاكتشافات والمعارف الدنيوية العظيمة لا زالت الهمجية والوحشية والعدوان تلتهم الإنسان في هذه الحياة ، لا بل زادت في قرن الاكتشافات- بطرقها المتتوية وأساليبها الخادعة وتنظيمها الدقيق .

زعموا الصعود إلى الكواكب رفعة
والأرض ملأى منهم بفساد
في هذا العصر تقدم العلم المادي ونظم تنظيمًا دقيقاً ولكنه صادم
انحطاطاً شديداً في المسلمين في تصورهم واعتقادهم وسلوكهم ، وفي
سبل عيشتهم ، سببه الجهل بدينهم الذي كان سبب عزهم
وسيادتهم .

وأخذ أعداء الإسلام يضعون الخطط لزيادة الهوة بين المسلمين
وإسلامهم ، وكان محورهم الذي تدور وسائلهم حوله : المادية
البعثة ، فنجحوا في توجيه ناشئة المسلمين نحو المادية والتنكر للعقيدة
في الاله والرسل والكتب المنزل والمعاد والقيم الإيمانية والأخلاق

الفاضلة فكانت ردة هائلة (ولا أبا بكر لها) كما قال الاستاذ الجليل أبو الحسن الندوي .

المطلب الثاني : (الفرق بين الردة الحاضرة وغيرها .)

فرق كبير جداً بين الردة المعاصرة والردة في الماضي من نواح كثيرة نجمل أهمها في المسائل التالية :

١- الشعور العام عند المسلمين .

كان المسلمون يشعرون بالردة وخطرها، ويتخذون منها الموقف المناسب، سواء كانت فردية أم جماعية كما وقف الصديق وغيره من الصحابة من أهل الردة وكما في قصة جبلة بن الايهم الذي تنصر^(١) .

أما الآن فقد تبلد هذا الشعور عند المسلمين فأصبحوا يخالطون المرتد ويعاملونه معاملة غيره من أفرادهم، فالأب مع ابنه، والأخ مع أخيه والصديق مع صديقه في مودة وألفة، بل قد يدافع عنه ويود ويسعى ان يتولى أرقى المناصب دون أي اكتراث، فأين هذا الشعور الشاذ من شعور الأسلاف؟

٢- التميز :

وكان المرتد يتميز برده عن سائر المسلمين أعظم من تميز المجذوم الذي لا يجد من يخالطه إلا الشاذ من أقرابه .

أما الآن فيكاد هذا التميز ينعدم اذ تجد في البيت الواحد من يصلي، ويصوم ويحج، ويتصدق ويذكر الله، ويؤمن بالله واليوم الآخر، ويبكي من خشية الله، وتجد ابنه أو أي قريب له ملحداً يهزأ

(١) التشريع الجنائي (٣٣٧) .

بالإسلام، ويسخر من ذكر الله ورسوله وكتابه، ومع ذلك ترى الاثنين معاً يأكلان، ويشربان، ويقبلان وينامان ويتعاملان سواء دون أي حرج واكتراث حتى اختلط الحابل بالنابل.

٣- الشمول:

كانت الردة في الماضي- ولو كانت جماعية- غير شاملة للعالم الإسلامي شمولها الآن، فقد ارتدت غالبية قبائل العرب في عهد أبي بكر، ولكن بعض المناطق بقيت بعيدة عن الردة، كالمدينة، ومكة والطائف.

وعندما حصلت الردة في الأندلس بقيت الاقطار الأخرى على الإسلام.

أما الآن فإنك إذا أنعمت النظر وخالطت المنتسبين الى الإسلام فستجد حاكماً مرتداً يرأس شعباً مسلماً- في الجملة- وشاباً مثقفاً بثقافة الغرب كافراً بالإسلام في بيت أسرته المسلمة، وحزباً ملحداً قابضاً على أزمة أمور الدولة، ومدرساً كافراً يعلم أبناء المسلمين، وهكذا قلما تجد بلداً أو مدينة، أو شعباً خالياً من الردة والمرتدين.

وسيتضح هذا أكثر عند الكلام على الركن المادي.

٤- الأساليب المتخذة لارتداد المسلمين

لا شك أن الضعف الإيماني عند المسلم هو محور كل دافع الى الردة، ولكن للأساليب المتخذة لايخراج المسلم عن إسلامه أثرها الخطير.

فقد لا يقوى بعض الأساليب على اخراج المسلم من الاسلام الى الكفر، وأن كان ضعيف الإيمان، وقد يزعزع بعضها الآخر من هو

أقوى إيماناً من السابق .
ولا شك أن أقوى الأساليب المتخذة لإضعاف الإيمان في نفوس أهله ، بل وإخراجهم منه هي الأساليب التي اتخذها أعداء الإسلام في هذا العصر .

ومصادر هذه الأساليب هي : اليهود والنصارى والشيوعيون .
ومن أهم الأساليب الخادعة : إخفاء الهدف الحقيقي الذي يسعى الأعداء لتحقيقه في سلمهم وحربهم ، في فلسفاتهم ومعاملاتهم .
الهدف الحقيقي : اخراج المسلمين من إسلامهم أو إضعافه في نفوسهم . والهدف البارز : العامل الاقتصادي ، والتقدم العلمي ليحل محل التأخر والتخلف اللذين مني بهما المسلمون في العصور المتأخرة^(١) .

وأهم الوسائل التي حققوا عن طريقها مرادهم :
١- التعليم : فما لا شك فيه أن أعظم وسيلة للوصول إلى هدف ما هو وضع سياسة تعليمية تخدم ذلك الهدف .
وهذا ما غفل عنه المسلمون وأخذ بزمام المبادرة نحوه أعداؤهم ، فقد وضعوا مناهج للتعليم غايتها تحطيم عقيدة المسلمين وقيمهم وأخلاقهم الإسلامية ومسحهم بتقاليد وأفكار ومغريات ، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً جعل أبناء المسلمين أنفسهم ينصبون العداء لإسلامهم ، ويتربعون على مناصب الدولة في شعوبهم ، وعن طريقها استطاعوا مسح الشباب وإبعاد كتاب الله وسنة رسوله عن توجيه

(١) راجع المجتمع الإسلامي للدكتور أحمد شلبي (٢٦٦ - ٢٧١) .

المسلمين في حياتهم، فتخرج عن طريق مدارسهم جيل أغلبه يكفر بدين الله ويسخر من كل مظاهره ودعائه^(١).

٢- وسائل الإعلام، من إذاعة وصحافة وتلفزة، وسينما، وغيرها، وهي كالتعليم وجهت توجيهاً منظماً دقيقاً للتشكيك في الدين، ونبد القيم والأخلاق والوقوع في الرذائل المردية.

وتمتاز وسيلة الإعلام عن وسيلة التعليم بأن وسيلة الإعلام شاملة عامة فما من بيت ولا فرد، كبير أو صغير، ذكر أو أنثى، عالم أو جاهل الا وفي إمكانه أن يسمع أو يرى أو يقرأ.

وأقل ما يمكن أن تحدثه هذه الوسائل في نفوس ضعاف الإيمان هو الميوعة وإطفاء جذوة الحماس للإسلام.

نعم قد تستعمل بعض هذه الوسائل في بعض الأوقات، وهي نادرة، للحاجة الطارئة عند المسؤولين عنها في الدعوة الى بعض الفضائل، حتى إذا شعروا- وهو شعور خاطيء- بأن الحاجة الى ذلك انتهت أعادوا الأمور إلى مجاريها غناء، رقص، تمثيلات ماجنة، قصص مثيرة، سخرية من القيم والموازين الالهية صور فاجرة، وهكذا..

ولو أحسن استعمالها لكانت مدارس نافعة ورائدة خير كثير ولكن:

(١) نحو تربية إسلامية حرة للندوي.

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

٣ - الاشادة بفلسفات وعلوم وسياسة اعداء الإسلام، واساطينهم
من فلاسفة وعلماء وقواد وسياسيين، وغمز علماء المسلمين،
وقوادهم وساستهم - وهذه تأتي عن طريق التعليم والإعلام والعمل
الواقعي - إلى أن زالت أو قل في نفوس أبناء المسلمين تقديرهم
لعلمائهم وقادتهم وعلومهم، وزالت أو ضعفت صلتهم بترائهم
وتوثقت صلتهم بما أتى به اعداؤهم، نافعاً كان - وهو قليل - أم ضاراً
فكان ذلك من أسباب ترك كثير منهم دينهم.

٤ - التبشير

والإستعمار، والإستشراق ولكل منها دوره الخطير الذي ليس
المقام مقام بسطه وما يجري في العالم الإسلامي في كل من آسيا وأفريقيا
وملحقاتها لا يخفى على المهتم بشؤون المسلمين، وإن كانت وكالات
الأبناء العالمية ووسائل الاعلام إجمالاً لا تنقل الحقائق المرة بل تذكر
النادر منها مزيفاً غير صحيح غالباً.

وما تحاوله الصليبية الآن في الفلبين واندونيسيا وغيرهما، واليهودية
في فلسطين غير بعيد.

ولست أريد التوسع في هذا الأمر، بل أريد الإشارة فقط وما كل
وسيلة من هذه الوسائل تؤدي إلى الردة، ولكنها قد تؤدي وقد تعهد،

وهي كافية وحدها لارتداد الكثير^(١).

٥ - التصدي لإنهاء الردة:

وأخيراً فإذا كان قد تصدى لإنهاء الردة في السابق قائد كأي بكر، وأمة معتصمة بحبل الله كبقية أصحاب رسول الله، واجتمعت فيهم الصفات التي لا بد منها لحزب الله الذي وعده بالنصر على أعدائه من محبتهم لله ومحبة الله لهم، وذلل على المؤمنين وعزة على الكافرين، وتخليص الولاء لله ولرسوله - وللمؤمنين ومعاداة الكافرين، ومن الإعداد للجهد وعدم خوف لومة لائم في الله، فإن هذه الردة، (لا أبا بكر لها)، والأمة الإسلامية يسودها التفرق وديدنها الخروج على أحكام الله وشرعه، وهي توالى اعداء الله وتعادي أوليائه أصبح الجهاد عند أغلبها نسياً منسياً. فهل يؤمل من أمة هذا شأنها أن تنهي ردة هذا العصر المعقدة المدعمة من الداخل والخارج؟ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين^(١)﴾. يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما

(١) راجع الكتب التالية: حصوننا مهددة من داخلها، والاتجاهات الوطنية لمحمد حسين، الغارة على العالم الإسلامي ترجمة محب الدين الخطيب، الإستعمار أحقاد وأطماع، ظلام من الغرب، كفاح دين لمحمد الغزالي، نحن والحضارة الغربية الإسلام والمدنية الحديثة للمودودي، التطور والثبات، جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب، الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي، ماجد الكيلاني الفكر الإسلامي الحديث محمد البهي مجلة الجامعة الإسلامية عدد ٣ سنة ٥ ص ١٠٥ جريدة الدعوة العدد ٤٢١ سنة ٩٣ ص ٢ وعدد ٤٢٢ ص ٣.

(١) هذه الآية والآيتان بعدها من سورة المائدة ٥٤، ٥٥، ٥٦.

وليكن الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله
هم الغالبون ﴿٢﴾.

(٢) مجموع الفتاوي (١٧/١) شرح الطحاوية (ص ٥٥١) جند الله ثقافة وأخلاقاً لسعيد
حوى (٢٢٩، ٢٤٨، ٤٢٢، ٤٤١)، راجع في هذا المطلب رسالة أبي الحسن الندوي (ردة ولا
أبا بكر لها).

الباب الثالث

أركان الردّة

وفيه فصلان :

- ١ - الفصل الأول - الركن المادي
- ٢ - الفصل الثاني - القصد الجنائي

الفصل الأول

الركن المادي

وفيه مباحث - المبحث الأول: ما يتعلق بالله - وفيه مطالب:
المطلب الأول: إنكار وجوده تعالى.

وجود الله تعالى من البهديات التي لا تحتاج إلى جهد في الاستدلال عليها فجميع المخلوقات العلوية والسفلية، (وما يشاهد منها بدون وسيلة، وما لا يشاهد مطلقاً) تدل على وجود خالق مدبر هو الله عز وجل^(١).

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

من أجل ذلك كان الرسل عليهم السلام يستدلون على قومهم ليعبدوه وحده لا شريك له بأنه الخالق الرازق، المحيي المميت، ولم يكونوا يدعونهم إلى الإيمان بوجوده، أو بأنه خالق الكون، لأن هذا الإيمان موجود عندهم مركوز في فطرهم مسلم به بدون جدال، كما

(١) حواشي تحفة المحتاج (٨٥/٩) المقنع (٥١٤/٣) منتهى الإرادات (٤٩٨/٢) الطريق إلى الله للدكتور الهلالي (٧١٠/٢) التشريع الجنائي. الوجود الحق لحسن هويدي الله جل جلاله لسعيد حوى.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١).

وقد ألجم القرآن الكريم منذ نزل على الرسول ﷺ كل من خالف تلك الفطرة التي كان الرسل يستدلون بما تقربه ولا تنكره على ما يحجده أهلها بذكر احتمالات أربع:

١ - أن يكون المخلوقون وجدوا من غير مادة مطلقاً، وإثماً بالمصادقة.

٢ - أو يكونوا أوجدوا أنفسهم.

٣ - أو يكونوا أشركوا الله في خلقه.

٤ - وكل هذه الإحتمالات لم يثبت منها شيء فلم يبق إلا الاحتمال الرابع وهو: أن يكون لهذه المخلوقات خالق مدبر هو الله، قال تعالى: ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُوَ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ﴾ (٢).

والمؤسف أنه في هذا العصر الذي تفتحت فيه العقول على كثير من مخلوقات الله مما لم تكن رأته من قبل والتي كان من المفروض أن تزيد الناس إيماناً - وقد زادت العقلاء منهم فعلاً - نجد من يجتري سائلاً: ما الدليل على وجود الله؟؟ سبحان الله!

(١) يونس (٣١) أضواء البيان (٣/ ٤١١ - ٤١٤).

(٢) الآية رقم ٣٥ - ٣٦ من سورة الطور.

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وهكذا وقفوا من كل ما هو غريب كأن عقولهم خلقت محيطة بكل شيء موجود! وهذه عقيدة الشيوعيين، وقد أثرت على كثير من شباب العالم الإسلامي الذي لا يؤمن بوجود الله حتى إنك لتسمع الشاب في بلد مسلم يتبجح دون اكتراث: إن كان الله موجوداً فأرونيه فصاروا بذلك مرتدين أعظم ردة وجدت على ظهر الأرض^(١).

المطلب الثاني: إنكار أسمائه وصفاته بدون تأويل

من أنكر إسماً من أسماء الله، أو صفة من صفاته التي وردت في كتابه، أو سنة رسوله الصحيحة كالسميع والبصير، والرحمن والرحيم، والقدير والمقتدر، والعلم والرحمة فقد أنكر وجحد ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وذلك هو الكفر بعينه.

ولكن هنا ملاحظة يجب التنبيه لها، وهي أن بعض الفرق الإسلامية أثرت فيها فلسفات غريبة عنها، بل عن دينها الحنيف، ف وقعت في شباكهها ونفت بعض الصفات أو أولتها بصفات أخرى ظناً منها أن في ذلك النفي والتأويل تنزيهاً لله وحيث أن هذا النفي جاء عن إجتهداد وحسن نية، أو عن تقليد وشبهة فإنه لا يحكم على هذه الطوائف بالكفر المخرج عن الملة، وإن كانت في خطر عظيم، والشيء قد يكون كفراً، ولكن صاحبه لا يكفر، وهذه قاعدة غفل

(١) عقيدة المسلم للغزالي.

عنها كثير من العلماء فوقعوا في مأزق خطير، حيث حكموا على فاعل كل ما يعتبر كفراً بأنه كافر، أو حكموا على ما هو كفر صريح بأنه ليس كفر فراراً من الحكم على فاعله بالكفر، وهذا الآخر ناشىء من اعتقاد أن الحكم على شيء ما بأنه كفر يستلزم إن فاعله المعين كافر وكلا الأمرين خطأ والصواب أنه لا يحكم على كل من صدر عنه ما يعتبر كفراً بأنه كافر. كما أنه لا يحجم عن وصف الفعل الذي تدل النصوص أنه كفر بوصفه الذي يستحقه.

(وبفهم هذه القاعدة العظيمة لا يبقى إشكال) وإليك المثال:
وصف الله نفسه بأنه الرحمن الرحيم وقال: (ورحمي وسعت كل شيء)^(١) فإذا جاء العالم المعتزلي وقال ليس الله رحماناً ولا رحيماً ولا يوصف بالرحمة، لأنه يلزم من ذلك مشابهة المخلوق فما موقفنا من نفي ما أثبتته القرآن الكريم بهذه الجرأة المتناهية هذا النفي يعتبر كفراً ولكن هذا المعتزلي المعين لا يكفر لتأويله المذكور، وهو الفرار من المشابهة في زعمه، مع أنه لا مشابهة مطلقاً، لأن صفات الله تابعة لذاته فكما أن ذاته لا مشابهة فيها للمخلوقين فكذا صفاته فهو موجود والمخلوق موجود ولكن وجود الخالق ليس كوجود المخلوق لأن وجود المخلوق محدود بوقت بدايته ونهايته وليس كذلك الله عز وجل وهكذا بقية الصفات^(٢).

(١) الاعراف ١٥٦.

(٢) المقنع (٣/٥١٥) مطالب أولى النهى (٦/٢٧٦) (٦/٢٨٠) مجموع الفتاوى (٧/٥٠٧)، (٢٣/٣٤٥) (١٢/-/٤٦٦ - ٥٠١) كتاب الصلاة لابن القيم (٧/١٤٩).

ومثل إنكار أسمائه وصفاته : إعتقاد مماثلة هذه الأسماء والصفات لأسماء وصفات المخلوقين كما هو صنيع المشبهة ، لأن الله تعالى وتنزه أثبت لنفسه أسماء وصفات ولكنه نفى عنها مشابهة المخلوقين كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١) .

ومن هذا القبيل إعتقاد أن الله ولد أو والداً كما اعتقد ذلك بعض أهل الكتاب الذين حرفوا كتاب الله المنزل ، فظنوا أن عيسى ابن الله ، أو أنه الله ، وكذا اعتقاد أن عزيزاً ابن الله أو أن الملائكة بنات الله ، قال تعالى : ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ (٢) . وقال : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٣) .

المطلب الثالث :

الإشراك به تعالى .

وذلك بأن يعبد معه غيره كما يفعل المشركون في كل زمان ومكان ، من الخضوع لألهتهم ، والركوع والسجود لها إلى غير ذلك .

والله تعالى خص نفسه بالعبادة فصرفها أو صرف أي نوع من أنواعها لغيره شرك ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ (٤) وقال : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٥) .

(١) الشوري ١١ . (٢) الجن (٣) المقتع (٣/٥١٥) ، و (٢/١٧٠) التشريع الجنائي . (٤) الذاريات ٥٦ .

(٥) النساء ٤٨ أنظر المقتع وحواشيه (٣/٥١٥) مطالب أول النهي (٦/٢٧٦) ، متهى الإيرادات (٢/٤٩٨) (٢/١٧٠) التشريع الجنائي .

المطلب الرابع :

إعتقاد صدور ظلم منه لعباده :

وقد نفى الله تعالى عن نفسه ذلك في آيات كثيرة من كتابه ، كما قال تعالى : ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾^(١) . وقال : ﴿وما كان الله ليضلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾^(٢) . وفي الحديث القدسي الصحيح يقول تعالى : ﴿يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً﴾^(٣) .

المطلب الخامس :

(الإستكبار عن عبادته) :

قال تعالى : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾^(٤) وعلى هذا فمن امتنع عن الركوع أو السجود لله تعالى تكبراً وتعاضلاً صار بذلك كافراً مرتدّاً ، ولا يدخل في اختلاف العلماء في تارك الصلاة تكاسلاً أيكون كافراً أم لا ؟ بل يكفي في كفره امتناعه عن ذلك تكبراً ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إذا قرأ ابن آدم - السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ، يقول : يا ويلى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت في النار)^(٥) ، وإبليس إنما امتنع عن

(١) الكهف ٤٩ . (٢) العنكبوت ٤٠ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦ / ١٦ / ١٣١) الطبعة المصرية بالأزهر .

(٤) غافر ٦٠ . (٥) مسلم بشرح النووي (٢ / ٦٩) .

طاعة الله استكباراً كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢).

ويشترط في هذا التكبر أن يكون صادراً عن اعتراض على الحكمة الإلهية فلا يدخل فيه من ترك صلاة الجماعة مثلاً تكبراً على أمام المسجد....

المطلب السادس:

الإستهزاء بأسمائه وصفاته.

(كما يفعل كثيراً من الناس عند ما يدعي له أو لغيره، شفاك الله، أو يسر الله أمرك أو ادع الله لنا بالشفاء أو الهداية، أو أسأل الله النجاح فيقول: إيش الله الله أكل شيء هو الله عندكم، أو ما شابه ذلك).

ولست بهذا أسجل فروضاً، وإنما أسجل حقائق مرة.

والله عز وجل يقول:

﴿قُلْ أَبِالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾^(١).

(١) البقرة ٣٤. (٢) الكهف ٥٠.

(٣) التوبة ٦٥، ٦٦.

أنظر حاشية الدسوقي (٣٠١/٤) مطالب أولى النبي (٤١٨/٢)، ٢٧٦/٦ المقنع (٥١٥/٣) المغني (٢٨/٩).

المطلب السابع

المطلب السابع :

عدم محبته تعالى أو مساواة المخلوق به في المحبة .

فالله الذي خلق هذا الكون - بما فيه الإنسان - ويدبره أحسن تدبير، ويسخره للإنسان وجعله - الإنسان - ذا عقل وقدرة على استخدام كثير مما خلق الله في مصالحه، هذا الإنسان إذ انعدمت من قلبه محبة مدبر الكون وخالقه ومسخره ومعطيه القدرة على الاستفادة منه وهداه إلى ما ينفعه ويضره، وأرسل إليه الرسل ليرشده إلى تفاصيل ما يوصله إلى خير غاية، وهي رضا الله، أقول: إذا انعدمت محبة الله من قلبه فلا شك أن ذلك دليل على انعدام إيمانه، وإذا كان الشاعر قد قال في إحسان المخلوق على المخلوق إنه استعباد:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطلما استعبد الإنسان إحسان

فأي إحسان يوازي إحسان الله إلى خلقه - ولا سيما هذا الإنسان؟

كما أنه إذا استوى الله عز وجل والمخلوق - أي مخلوق كان - في قلب الإنسان في المحبة دل ذلك على أنه ما قدر الله حق قدره، فمهما أحسن المخلوق إلى المخلوق لا يجوز أن تساوى محبته في القلب محبة الله، كيف والمخلوق المحسن نفسه من إحسان الله عز وجل!؟

وهذه هي محبة العبادة: محبة الخضوع والتذلل والتعظيم المستلزمة للابتناء، أشار الله تعالى إليها بقوله: (ومن الناس من يتخذ من دون

الله أنداداً يحبونهم كحب الله^(١).

ومحبة غيره تعالى تنقسم إلى قسمين:

الأولى: تعتبر من عبادته أيضاً، وهي محبة رسوله ﷺ، ومحبة الصالحين من عباده لأجله تعالى، وكذا الأعمال الصالحة، وهذه المحبة تابعة لمحبته، قال ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين)^(٢). وقال في حديث آخر: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)^(٣).

ولكون الرسول ﷺ، ذا فضل كبير بعد الله تعالى اذ هو الذي جاءنا بهذا الدين وهو الذي بلغنا عن ربه تعالى وكان بنا رؤوفاً رحيماً استحق أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأولادنا ووالدينا ولكن هذه المحبة لا تبلغ إلى درجة محبة الله تعالى كما هو واضح.

الثانية: المحبة الطبيعية، وهي التي تحصل عادة من الوالد لولده أو من الزوج لزوجته أو العكس، وهي تتغير في الزيادة والنقص حسب الصلة القوية والرضا والغضب ولا يمكن أن تصل إلى مرتبة محبة الله تعالى أو محبة رسوله ﷺ.

(١) البقرة ١٦٥

(٢) (١٠/٨) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

(٣) فتح الباري (٦٠/٨).

وقد أشار الله تعالى الى المحبة الطبيعية بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مِنْ أَحَبِّتَ وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

المطلب الثامن:

اعتقاد أن لغير الله أن يشرع للعباد ما لم يأذن به الله وفي هذا المطلب

مسائل:

المسألة الأولى- أنواع الحكم بغير ما أنزل الله.

النوع الأول: أن يستحل الحاكم الحكم بغير ما أنزل الله كتحلل الزنا، وشرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وإباحة الربا ونحو ذلك (٢).

النوع الثاني: أن يلغى الحاكم بسلطة الحكومة الحكم بالشريعة الإسلامية، ويحل محلها الحكم بالقانون الوضعي، وينفذه كذلك بسلطته الوظيفية كما هو حال كثير من رؤساء الشعوب الإسلامية حتى لقد بلغ بهم الأمر أن تدخلوا في الأحوال الشخصية للمسلمين، من زواج وطلاق وإرث وغيرها.

النوع الثالث: أن يحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن ما أنزل الله غير صالح لعصره، وأن تلك القوانين التي حكم بها أكثر ملائمة، وأصلح لأموار الناس من حكم الله، كمن يتهم الإسلام بالوحشية لحكمه بقطع يد السارق في قليل من المال وقتل القاتل المتعمد ونحو ذلك (٣).

(١) القصص ٥٦ تيسير العزيز الحميد (ص ٤٠٩).

(٢) المقنع (٥١٦/٣). (٢) التشريع الجنائي (٧١٠/٢).

النوع الرابع : أن يحكم بغير ما أنزل الله في جزئية من الجزئيات ، وهو يعتقد أنه عاص وأن الحكم بغير ما أنزل الله محرم ، وأن الواجب هو الحكم بما أنزل الله ولكنه غلبه هواه لمال أو جاه أو قرابة ففعل ما فعل ، كأن يعطي الحق غير صاحبه مع علمه به ، وإقامة البرهان عليه .

المسألة الثانية : ذكر أقوال العلماء في حكم من حكم بغير ما أنزل الله :

الذي يظهر من أقوال السلف رحمهم الله إنها تعني النوع الرابع من الأنواع التي مرت في المسألة الأولى ، وهو الحكم بغير ما أنزل الله في بعض الجزئيات مع اعتقاده وجوب الحكم بما أنزل الله دون سواه لأن عامتهم - عدا الخوارج المكفرين بالكبائر يفسرون قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ^(١) و ﴿ أولئك هم الظالمون ﴾ و ﴿ أولئك هم الفاسقون ﴾ أما بأهل الكتاب أو بالمستحل أو بكفر دون كفر ، إلا أنه قد يفهم مما نقله ابن كثير في تفسيره عن السدي أنه الكفر المخرج عن الملة - وإن كان فيه احتمال أيضاً - لأن عبارته : وقال السدي ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ يقول : ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً : أو جار وهو يعلم فهو من الكافرين ﴾ ^(٢) .

(١) المائدة ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧

(٢) تفسير ابن جرير (٢٥٧٦ - ٢٥٧) تفسير ابن كثير (٦٠/٢) روح المعاني (١٤٥/٦) شرح الطحاوية (ص ٢٩٧ - ٣٠٢) .

وقد نحا بعض الكتاب المتأخرين منحى من كفره كفرأ مخرجاً من
الملة، فاعتبر المسلم الذي يمتنع عن الحكم بما أنزل الله مرتداً،
والظاهر من عبارته الاطلاق^(١).

المسألة الثالثة: المختار

والظاهر أن العلماء المتأخرين راعوا في التكفير ملابسات العصر
وقرائن الأحوال وهو أن الذين امتنعوا عن الحكم بما أنزل الله،
وحكموا القانون الوضعي لا يخلون من أحد أمرين:

الأول: التصريح بعدم صلاحية شرع الله لهذا العصر، وقد لا
يصرح بذلك الحاكم نفسه، ولكنه يوعز لمن تحت أمرته من الكتاب
والصحفيين والمذيعين فيصرحون بذلك في أغلب وسائل الإعلام وهو
يسمع ذلك ويطبق في نفس الوقت ما تنشره عملياً ومثل هذا لا أظن
عالمًا حقاً يتوقف في تكفيره، وعلماء السلف لم يختلفوا في مثل هذا كما
ترى.^(٢)

وكذلك عندما يقال السلطة شخص أو حزب في بلد ما، وهو
يحكم فيه بما أنزل الله فيعمد هذا الحاكم أو الحزب إلى المحاكم
الشرعية والحكم فيها بالشرع الإسلامي فيلغى ذلك ويحل محله
القوانين البشرية التي تحل ما حرم الله أو تحرم ما أحل الله ومن أظهر
مخالفة هذا الحاكم من أفراد الشعب المسلم رفع عليه سوط عذابه، بل

(١) التشريع الجنائي (٧٠/٨٢)، الإسلام وأوضاعنا القانونية لعبد القادر عودة ص ٧١، في
ظلال القرآن (١٥٧/٦) وقد راعى الكتاب المتأخرون اعطاء حق التشريع للبشر ولا شك في كفر
من اعتقد لنفسه ولغيره حق التشريع فيما لم يأذن به الله.
(٢) مطالب أولى النهى (٢٨٢/٦).

وأخذ ينفذ فيه وفي أمثاله حكم الإعدام بسبب ذلك، فمثل هذا الحاكم- فرداً كان أو حزباً- لا يمكن أن يكون فعله هذا إلا صادراً عن محاربة الله وشريعته وعباده المؤمنين وعن إيمان منه بعدم صلاحية حكم الله تعالى لأن المؤمن بصلاحية حكم الله بل بوجوب ذلك وبيده أزمة أمور الدولة، والشعب يساعده في الحكم بما أنزل الله لأنه شعب مسلم لا يصل به الأمر إلى هذه الحالة من تعذيب من يدعوه إلى ما يؤمن به وإعدامه، ولا أظن علماء السلف رحمهم الله يختلفون في مثل هذا الحاكم، وهم الذين يعتبرون من رمى المصحف بقذر مرتداً^(١).

أما إن صرح بعدم الصلاحية فلا حاجة إلى بحث حكمه، لأنه من الواضح بمكان فيجب حمل كفر دون كفر على النوع الرابع وهذا هو اللائق بعلماء السلف الذين يكفرون من أنكر وجوب الطهارة^(٢).

المبحث الثاني:

ما يتعلق بملائكته:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان قال تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين...﴾^(٣).

وفي حديث جبريل المشهور: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه

(١) حاشية الدسوقي (٣٠١/٤). وما لا شك فيه أن المؤمن مبدئاً ما يفرح بقيادة الأمة ليطبق فيها ذلك المبدأ.

(٢) مطالب أولى النهى (٢٧٧/٨).

(٣) البقرة ١٧٧.

ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره).

فإنكار وجودهم تكذيب للكتاب والسنة، وذلك ردة ان صدر هذا الإنكار من مسلم ومثل إنكار وجودهم إنكار ما أخبر الله به من صفات لهم جميعاً أو لبعضهم، أو اثبات ما نفاه الله تعالى عنهم). فمن الصفات التي أثبتها الله لهم: أنهم (ويفعلون ما يؤمرون)^(١) و(إنهم يسبحون بحمد ربهم) وأن منهم من يعلم أعمال العباد ويكتبها، وإن منهم من يحمل العرش ومنهم من يتوفى الأنفس وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وأن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾^(٢)، وقال: ﴿ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾^(٣).

﴿إن الذين تتوفاهم الملائكة﴾^(٤) ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾^(٥) ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾^(٦).

ومن ذلك إثبات الأمانة لهم جميعاً، ولا سيما جبريل سفير الله إلى رسله الذي يبلغهم وحيه.

وقد اتهم من قبل اليهود وغيرهم كغلاة الرافضة الذين هم أكثر شراً من اليهود، إذا ادعوا أن جبريل أخطأ في تبليغ الرسالة إلى محمد ﷺ، وهي في الأصل لعلي رضي الله عنه.

مع أن الله تعالى قد براء من هذه التهمة الجائرة من هؤلاء الخونة

(١) التحريم ٦ (٢) الانفطار ١٠-١٢ (٣) الانعام ٦١ (٤) النساء ٩٧

(٥) السجدة ١١ (٦) غافر ٧

من اليهود والرافضة، وجعل تعالى عدو جبريل عدواً له، كما قال: ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصداقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين. من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾^(١). وقال تعالى عنه: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾^(٢). أي بمتهم وقال: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾^(٣). فماذا يريد اليهود والروافض بعد هذا؟.

ومن الصفات التي نفاها الله عنهم: عصيانه حيث قال: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾^(٤) وكذلك كونهم أرباباً من دون الله كما قال تعالى: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾^(٥).

ومنهم كونهم أناثاً أو بنات الله أو ولداً له كما قال تعالى: ﴿وقالوا إتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾^(٦) وقال: ﴿فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ألا انهم من أفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين﴾^(٧) وقال: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ما لهم به من علم ان يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾^(٨) كما نفى عنهم علم ما لم يعلمهم الله باعترافهم،

(١) البقرة ٩٧ (٢) التكويد ٢٤ (٣) الشعراء ١٩٣-١٩٥ (٤) التحريم ٧

(٥) آل عمران ٨٠ (٦) الأنبياء ٢٦ (٧) الصافات ١٤٩-١٥٣ (٨) النجم ٢٧، ٢٨.

كما قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

المبحث الثالث: ما يتعلق بكتبه:

وفي هذا المبحث مطالب المطالب الأول:
عدم الإيمان بالكتب السابقة إجمالاً وتفصيلاً.

والمراد بالإجمال: نفى أن الله عز وجل أنزل كتباً على الأنبياء السابقين لنبينا ﷺ.

والمراد بالتفصيل إنكار كتاب أو كتب بعينها بعد أن نص الله على إنزالها على بعض أنبيائه مثل: التوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم... ..

فقد أخبر الله في كتابه انه لم يترك البشر بدون تبشير وإنذار، فقد أوضح لأدم عليه السلام ان ابليس عدو له للوجه، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٢) وقال: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٣).

وقال على وجه العموم: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٤).

(١) البقرة ٣٢ وانظر مطالب أولى النهى (٢٧٧/٦) وكذا (٢٨٣) المقنع (٥١٦/٣)، منهى الارادات (٤٩٨/٢)، (٧١٠/٢) التشريع الجنائي.

(٢) طه ١١٧ (٣) البقرة ٣٧ (٤) البقرة ٢١٣.

وقال: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾^(١).

وقال على وجه التفصيل: ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾^(٢)، وقال: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى﴾^(٣)، ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور.. وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتينا الانجيل﴾^(٤).

وأمر الله المؤمنين من أمة محمد أن يقولوا بالإيمان بجميع ما أنزل على أنبيائه السابقين ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوحى موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾^(٥)، وقال تعالى مخبراً عن إيمانهم بذلك: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾^(٦).

أقول بعد هذا كله، إن من لم يؤمن بكتب الله إجمالاً وتفصيلاً بل كذب بها أو يبعثها فقد خرج من دائرة المسلمين إلى دائرة الكافرين﴾^(٧).

(١) النساء ١٦٣ (٢) النساء ١٦٢ (٣) سورة الأعراف ١٨، ١٩. (٤) المائدة ٤٦

(٥) البقرة ١٢٦. (٦) البقرة ٢٨٥.

(٧) المقنع (٥١٥/٣)، منتهى الإرادات (٤٩٨/٢) مطالب أولى النهى (٦/٢٧٧).

المطلب الثاني- موقفنا من الكتب المحرفة :

ما مر من وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام لا يعني الإيمان بالكتب المذكورة بعد تحريفها فقد أخبر الله عن أهل الكتاب إنهم حرفوا كتبهم وادعوا فيما كتبوه بأيديهم أنه من عند الله . كما قال تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ ^(١) فمن قال : انا لا أو من بالتوراة ولا الإنجيل قاصداً الكتابين المحرفين فلا يكون بذلك مرتدّاً ولكن هذا الاطلاق ليس صواباً فيجب إذا أراد ذلك أن ينص عليه حتى لا يكون كلامه محتملاً لإرادة التوراة والإنجيل الأصليين .

والموقف الذي يجب أن نقفه من الكتب المحرفة هو ما أرشدنا إليه الرسول ﷺ وهو يتلخص في الجمل التالية :

١- ما وافق ما عندنا وجب علينا تصديقه لأن كتابنا صدقه .

٢- وما خالفه وجب عدم تصديقه لأن كتابنا خالفه .

٣- وما لم يوافق أو يخالف توقفنا فيه لا نصدقه ولا نكذبه خشية أن نصدق ما هو كذب في الواقع أو نكذب ما هو صدق في الواقع . ^(٢)

المطلب الثالث: ما يتعلق بالقرآن الكريم

تمهيد :

(١) البقرة ٧٩ .

(٢) مجمع الفتاوى (٤٢٥/١) ، المقنع (٥١٦/٣) مطالب أولى النهى (٢٨٢/١) .

القرآن كلام الله، نزل على عبده ورسوله محمد ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام.

إخباره صدق، وأحكامه عدل، تحدى الله به الإنس والجن مجتمعين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أنزله الله ليطبق في العقيدة والعبادة والمعاملة يهدي لأقوم سبيل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

وفي هذا المطلب مسائل:

المسألة الأولى- عدم الإيمان به:

فمن جحده، أو شك في صدقه وعدل أحكامه كفر كفراً أكبر يخرج من ملة الإسلام^(٢) لأن الله تعالى نفى عن هذا الكتاب الشك وأخبر أنه حق كما قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣).

ودعا إلى التحاكم إليه كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٤) وأعقب ذلك بذكر المنافقين الذين يتركون كتاب الله ويصدون عنه إلى الطاغوت، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى

(١) الإسراء ٩

(٢) المقنع (٥١٥/٣) الكافي (١٥٦/٣) منتهى الإرادات (٤٩٨/٢) (٧١٠/٢) التشريع.

(٣) البقرة (٤) النساء ٥٩

الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً^(١).

المسألة الثانية- زعم نقص القرآن، أو عدم حفظه من التحريف: فمن زعم أن القرآن غير كامل، أو أنه حرف وبدل، أو سيحرف ويبدل دون أن يكشف ذلك التحريف والتبديل فهو كافر بهذا القرآن، ومكذب من أنزله، لأنه تعالى أخبر أنه أكمل دينه بإنزال هذا الكتاب، كما قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢).

وزعم نقص هذا القرآن كزعم نقص هذا الدين وكذلك زعم عدم حفظ هذا القرآن وقد قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(٣).

ولا يدخل في زعم نقص القرآن اعتقاد أن في السنة أحكاماً زائدة على الأحكام الواردة في القرآن، فالسنة توضح القرآن، وتأخذ حكمه في التشريع، وكلاهما وحي، وقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله، كما أمر بأخذ ما جاء به الرسول ﷺ، وهو شامل للقرآن والسنة- قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾^(٤).

وقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٥).

(١) النساء ٦٠، ٦١. (٢) المائدة ٣.

(٣) الحجر ٩ راجع حاشية المقنع (٥١٦٣) مطالب أولى النهي (٢٨٣/٦).

(٤) التغابن ١٢ (٥) الحشر ٧

فالسنة وحي كالقرآن، وإن اختلفت عنه في بعض الأمور.

المسألة الثالثة:

عدم الإيمان بنسخ القرآن لكل الكتب السابقة أو عدم هيمنته عليها.

فمن اعتقد أن كتاباً من الكتب السابقة لا يزال له حق الأمر والنهي والتوجيه للعباد، ولم ينسخه القرآن، أو ليس له حق الهيمنة عليه فهو كافر مرتد، والدليل على ذلك أن الله عندما ذكر التوراة والإنجيل في سورة المائدة- وقال بعد ذكر التوراة: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، وقال بعد ذكر الإنجيل: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾- قال بعد ذلك كله: ﴿وأنزّلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ (١).

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ومن أوضحها وأجمعها ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) (٢).

المسألة الرابعة:

(١) المائدة ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٨.

(٢) (١٨٦٢) مسلم بشرح النووي.

الاستهزاء بالقرآن :
الاستهزاء : الاحتقار والسخرية .

فمن سخر من القرآن الكريم : أو أتى بما يدل على احتقاره له فقد كفر وصار مرتدًّا ومن الأمثلة على ذلك : أن يذكر أحد كتاب الله مستدلاً به ، أو داعياً إليه فيقول السامع : دعونا من هذا ، فقد ذهب وقته أو استنفذ أغراضه ، أو اذهب فاقراه على الموتى ، أو هذا العصر عصر فلان وفلان- من قادة الكفر ، كماركس ولينين ، وماو وديغول وغاندي ، وغيرهم من زعماء العالم المتردي- وقد ولى عصر القرآن .
ومن الأمثلة : ما حصل أو يحصل في بعض الشعوب من إحراق رؤسائها أو من لهم سلطة المصاحف في المساجد إهانة لها ونكاية بالمسلمين .

ومن الأمثلة : رمى المصحف في أماكن القدر أو تلطيخه به .
ويشمل ذلك وغيره قوله تعالى : ﴿ قل أبالله وآيته ورسوله كنتم تستهزؤن ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ^(١) .

المبحث الرابع :
ما يتعلق بالرسول عليهم الصلاة والسلام .
وفيه مسائل- المسألة الأولى :
عدم الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً .

(١) حاشية الدسوقي (٣٠٧/٤) ، منتهى الإرادات (٤٩٨/٢) ، مطالب أولي النهى (٢٧٩/٦) .

المراد بالإجمال : إنكار إرسال الله الرسل مطلقاً والمراد بالتفصيل :
إنكار رسالة رسول معين منهم أثبت الله رسالته .

من صفات المؤمنين : الإيمان بالغيب الذي أخبر الله به في كتابه ،
قال تعالى ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ ﴾ .

وبهذه الصفة- الإيمان بالغيب- يمتاز المؤمن من الكافر ، لأن الشيء
المشاهد المحسوس يؤمن بوجوده الناس كلهم .

ومن الإيمان بالغيب الإيمان بالرسل عليهم السلام وقد أمر الله
عباده المؤمنين أن يقولوا : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى
إِبْرَاهِيمَ ﴾ .. الى أن قال : ﴿ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

وأخبر تعالى عن رسوله محمد ﷺ والمؤمنين إنهم يؤمنون بجميع
الرسل ، قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ
آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ (٢) .

ووعد المؤمنين بهم جميعاً بالأجر والمغفرة والرحمة فقال : ﴿ وَالَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (٣) .

ووصف الكافرين به وبرسله ، أو المفرقين بينهم بأنهم كافرين حقاً
وهتددهم بالعذاب المهين فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

(٣) النساء ١٥٢

(٢) البقرة ١٢٦ (١) البقرة ٢٨٥

ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً^(١).

فمن لم يؤمن بالرسول كلهم أو بعضهم فهو كافر كما ترى من النصوص الماضية وغيرها كثير^(٢).

المسألة الثانية :

عدم الإيمان بالرسول ﷺ .

وفيها فروع: الفرع الأول- إنكار رسالته^(٣).

وهذا الفرع مندرج في المسألة الأولى- وأزيد هنا أمراً هاماً بإيجاز: وهو أن الداعي الى وجوب الإيمان به ﷺ قائم الى يوم القيامة وعن طريق هذا الداعي يمكن الاستدلال على وجوب الإيمان بغيره من رسل الله السابقين، فما من آية آمن الناس عن طريقها بالرسول قبله إلا وقد زالت، أما رسولنا ﷺ فأية الإيمان به باقية إلى يوم القيامة ألا وهي القرآن الكريم الذي تحدى الله به الأنس والجن مجتمعين كما مضى .

الفرع الثاني - عدم الإيمان بأنه خاتم النبيين^(٤).

فقد أخبر الله تعالى في كتابه بأنه خاتم النبيين قال تعالى : ﴿وما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ .

(١) النساء ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) حاشية ابن عابدين (٢٢٦/٤) منتهى الارادات (٤٩/١) مطالب أولى النهى (٢٧٧/٦) الكافي (١٥٦/٣) ، (٧١٠/٢) التشریع الجنائي .

(٣) حاشية ابن عابدين (٢٢٦/٤) (٤) الاحزاب ٤٠

كما أخبر هو ﷺ عن نفسه بذلك في نصوص كثيرة صحيحة، كقوله: (إن لي أسماء فأنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي...) (١). وقد اعتبر مدعو النبوة بعده في العصر الأول وكذلك مصدقوهم مرتدين، كمسيلمة وسجاح وغيرهما (٢). وأخبر عليه الصلاة والسلام أن دجالين كثيرين سيدعون النبوة بعده (٣). وقد حصل ذلك قديماً وحديثاً، وما ميرزا أحمد الدجال الكبير الذي انتشر اتباعه في هذا العصر ببعيد (٤). ومثل من لم يؤمن بأنه ﷺ خاتم النبيين من اعتقد أن أحداً شاركه في الرسالة، كزاعمي مشاركة علي رضي الله عنه فيها (٥).

الفرع الثالث:

عدم الإيمان بعالمية رسالته:

النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة المتواترة لا تخفى، وهي كلها تدل على أنه عليه الصلاة والسلام رسول إلى العالمين جميعاً قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٦) وقال: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (٧).

(١) (١٤٤/٣) اللؤلؤ والمرجان.

(٢) المغنى (٢٨٩) مطالب أولى النهى (٢٧٦٩).

(٣) أبو داود (٤٣٥/٢).

(٤) راجع (ما هي القاديانية) لابي الأعلى المودودي.

(٥) حاشية الدسوقي (٣٠٣/٤)، (٧١٠/٢) التشريع الجنائي.

(٦) الأنبياء ١٠٧ (٧) الفرقان ١

وقال ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»^(١) فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِأَنَّهُ رَسُولُ إِلَى الْعَالَمِينَ بَلَّ إِلَى الْعَرَبِ خَاصَةً فَقَدْ كَفَرَ»^(٢).

الفرع الرابع:

الاستهزاء به أو سبه

الاستهزاء هو الاحتقار، والسب هو الانتقاص ويلتقيان في الاتيان بفعل أو قول فيه إهانة للرسول ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك ما حصل من بعض الأفراد الذين كانوا مظهرين الإسلام في عهده ﷺ حينما كانوا في الطريق في إحدى الغزوات فأخذ الرجل يقول: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء- يعني الرسول وأصحابه- أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً، ولا أجبين عند اللقاء).

فوصفهم بالشره وكثرة الأكل، وبالكذب والجبين، وكذب هو والله لقد كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وكانوا أصدق الناس وأشجعهم، وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه وأوصافهم في الكتاب والسنة واضحة في ذلك، فقال الله تعالى في شأن ذلك الرجل- ومثله كل من فعل مثل فعله-: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٣) راجع تفسير ابن كثير للآية.

(١) البخاري (٤٣٦/١) فتح الباري رقم ٣٣٥.

(٢) حاشية ابن عابدين (٢٢٧/٤)، المغني (٢١٨) الفتاوى (٤٢٤/١١ - ٤٢٥).

(٣) التوبة ٦٦.

وما يحصل في هذا العصر في الصحف والمجلات والافلام السينمائية، وعلى السنة الأفراد أدهى وأمر .

نعم قد يكون المصور أو القائل كافراً أصلاً ولكنه لا يقدر على إظهار ما عنده لو كان يدري أن صاحب السلطة وراءه وسيجازه بما يستحق .

والمؤسف أن كثيراً من رؤساء الشعوب الإسلامية لو علم أن شخصاً ما يسخر منه ويسبه في مجامع الناس أو جلساتهم الخاصة لأنزل به أشد العقاب ولكنه قد يبلغه سب الله أو رسوله أو كتابه أو الشريعة الإسلامية فلا يتحرك قلبه لذلك بل قد يدعم كل من يقدم على ذلك، فأين الإسلام؟؟ .

المبحث الخامس :

ما يتعلق بالعبادات التي علم وجوبها من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة، والصوم، والحج

المسألة الأولى: ترك هذه العبادات جحوداً .

وجوب هذه العبادات مما علم من الدين بالضرورة لاسيما بالنسبة لمن نشأ في أمصار المسلمين حيث تؤدي هذه العبادات من آلاف الناس في البيت والمساجد والمدارس والمصانه وغيرها .

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة أن هذه العبادات هي أهم أصول الإسلام العملية بعد الشهادتين . وإذا سئل المسلم العادي عن أركان الإسلام أجاب بهذه الخمس . فمن جحد وجوبها أو وجوب واحدة منها فهو مرتد، وإن بقي مقرأً بالشهادتين، لأنه بهذا

الجحد كذب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخرق إجماع الأمة الإسلامية.

ولا حاجة الى الاطالة في هذه المسألة لأن علماء المسلمين لا يختلفون فيها. ولكن الجاحد عندما يكون جاهلاً، أو حديث عهد بالإسلام له حكمه الخاص، كما سيأتي في بحث القصد الجنائي^(١).

المسألة الثانية:

ترك هذه العبادات أو بعضها تكسلاً مع اعتقاد وجوبها
وفي هذه المسألة خلاف كثير بين العلماء

القول الأول:

أنه لا يكفر ولو عزم على تركها أبداً، استدلالاً بالنصوص الدالة على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، أو يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان من النار، وما شابه ذلك من النصوص، وعلى هذا القول غالب العلماء.

القول الثاني:

إنه يكفر فيما عدا الحج.

القول الثالث:

إنه يكفر بترك الصلاة فقط.

القول الرابع:

إنه يكفر بترك الحج.

(١) شرح النووي على مسلم (١٥٠/٨)، المجموع للنووي (٣٠٠/٥)، (١٥/٣) الفتاوي (٥٤/٤) حاشية الدسوقي (٣٠٧/٤)، المغني لابن قدامة (١٧٩)، المحل (٢٢٨/٢) الفتاوي (٤٠٥/١) الكافي (١٥٦/٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٠) فقه الزكاة للقرضاوي (٨٥/١)، (٧٠٨/٢) التشريع الجنائي الإسلامي.

والقول الثالث، هو المشهور في مذهب الإمام أحمد، وظاهر النصوص تدل على كفر تارك الصلاة في الجملة، كقوله عليه السلام: «من ترك الصلاة فقد كفر»، وقوله: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر»^(١). وغيره من الأحاديث إلا ان الآخرين- الذين لا يرون كفرهم- يحملون الكفر الوارد في هذه الأحاديث على كفر دون كفر، قالوا: وفيه جمع بين النصوص الدالة على عدم تخليد من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وبين النصوص الدالة على كفر تارك الصلاة.

ولابن القيم رحمه الله بحث طويل في كتابه (الصلاة) والظاهر من سياقه التكفير معللاً ذلك بأمرين: الأول- النصوص الواضحة في التكفير، الثاني: ان من في قلبه شيء من الإيمان لا يدعه هذا الإيمان مهما قل يترك الصلاة طول عمره لا سيما إذا هدد وحبس وضرب وأنت ترى من هذا التعليل إنه لم يخرج على القاعدة التي اجمع عليها السلف الصالح، وهي أننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب (كبيرة) لأن ابن القيم يرى أن الذي لا يصلي مطلقاً مع علمه بهذه النصوص طول عمره فليس بمؤمن هكذا رأى رحمه الله، وكلامه واضح ولكن نفى مثقال ذرة من إيمان عن قلب تارك الصلاة أمر متعذر لعدم الاطلاع عليه فالله أعلم^(٢).

(١) النسائي (١٨٧/١) وغيره.

(٢) المغنى (١٧٩) المقنع (٥١٦/٣) مطالب أولى النهى (٢٨٠/١) الفتاوى (٤٢٩/٣) كتاب الصلاة لابن القيم.

المبحث السادس

ما يتعلق بالمحرمات الظاهرة المجمع على تحريمها (٢) كالزنا، وقتل النفس التي حرم الله بدون حق وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة وشرب الدم المسفوح، وغير ذلك مما تنطبق عليه القاعدة المذكورة، كاستحلال أخذ أموال الناس بالباطل كما يفعل ذلك الظالمون من أهل السلطة اقتداء بأسيادهم من الشيوعيين.

وبنظرة الى ما يجري في أغلب الشعوب التي يحكمها من لم يلتزموا بشرع الله، بل بقوانين البشر المخالفة له، بل بأهوائهم ورغباتهم الشخصية نجد أن أغلب رؤساء هذه الشعوب يصدرون القوانين واللوائح التي يستبيحون بموجبها تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ونجبي من جراء ذلك الضرائب لخزينة الدولة بل لخزائن أولئك الخارجين على شرع الله.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك إباحة الزنا بتنظيم وسائله والإشراف على ذلك وكذا شرب الخمر في أماكن عامة واضحة والتعامل بالربا كل ذلك بقوانينه ولوائحه وتبني حكام تلك الشعوب له.

فمثل هؤلاء لا شك في أنهم مرتدون- إن كانوا أصلاً مؤمنين بالله قبل ذلك- وكل من دار في فلکهم راضياً بذلك مؤيداً لهم بدون أن يكون مكرهاً على ذلك فهو مثلهم مرتد.

(٢) (٧٠٧/٢) التشريع الجنائي .

ولا يدخل في هذا الحكم المضطر الى تناول مما حرم الله، مع اعتقاده الحرمة- كتناول الجائع لحم الميتة ولحم الخنزير، ونحو ذلك كإغتصاب مال معصوم لنفس الغرض، قال تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه﴾^(١).

(١) البقرة ١٧٣.

الفصل الثاني

الْقَصْدُ الْجَنَائِي

قد يصدر من الشخص قول أو فعل أو اعتقاد، لو صدر منه مع علمه به، مع استكمال شروط التكليف لكان بذلك كافراً مرتداً. ولكنه قد لا يقصد ذلك، أو بقصده مع جهله به، فلا يكون كافراً وذلك لعدم توفر الركن المذكور (القصْد الجنائي).

وفي هذا الفصل مباحث:
المبحث الأول - الجهل:

من المعلوم أن العلم بالشيء المكلف به شرط في هذا التكليف، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(١) وقال: ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ﴾^(٢).

وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به ورسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما يبعث الله به ورسوله، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر ولهذا اتفق الاثمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان أو كان حديث العهد

(١) الإسراء ١٥ (٢) النساء ١٦٥.

بالإسلام فأنكر شيئاً من هذا الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول... ..

وقد دل على هذا الأصل ما جاء في الصحيحين في شأن الذي قال لأهله:

(إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً، ما عذبه أحداً من العالمين، ففعلوا به ذلك، فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك فغفر له)^(١).

ففي هذا الحديث:

١- إنكار الرجل قدرة الله عليه وهذا كفر.

٢- وفيه إنكار للمعاد والبعث، وهو كذلك كفر، ومع ذلك فقد غفر الله له مع أنه مات على هذا الاعتقاد، والسبب أن الرجل كان جاهلاً.

ل

فالجهل اذن عذر لا يكفر صاحبه.

فلا عبرة بزعم عدم العذر بالجهل لخلوه عن الدليل، بل لمصادمته الدليل كما هو واضح ولكن مع مراعاة القيود التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

المبحث الثاني:

الخطأ لفرح أو غضب ونحوهما:

دلت نصوص الكتاب والسنة على رفع الذنب عن المخطيء، بل

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٧٣)، (٤٠٦/١-٤١٣) التشريع الجنائي (٧٨٢).

تجاوزت ذلك الى اثبات الأجر للمخطيء- كالحاكم إذا اجتهد فأخطأ.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(١)، وثبت عن الرسول ﷺ ان الله تعالى يقول نعم أي لا أو اخذكم على ذلك^(٢). وفي الحديث أيضاً: ﴿تجاوز الله عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه﴾^(٣). وقد يشتد الفرح بصاحبه، وكذلك الغضب فيصدر معه- في حالة فرح أو غضب- ما يعتبر كفراً في حد ذاته، ولكن الشخص لم يقصد ذلك فلا يكون بذلك كافراً.

وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)^(٤).

فلو قال هذه العبارة قاصداً متعمداً في حالة يكون فيها أهلاً للتكليف لم يشك أحد في كفره ومثل ما جاء في هذه العبارة قصة

(١) البقرة ١٨٦.

(٢) مسلم شرح النووي (١٤٤/٢).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢١٩/٢) رقم ١٧٠٥ وتفسير ابن كثير: (٣٤٠/١).

(٣٤٣).

(٤) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٨/٣) رقم ١٧٤٧. صحيح مسلم بشرح النووي (٥٩/١٧).

والتشريع الجنائي (٧١٩/٢).

حضرتها بنفسي : كان الناس في أحد المساجد يضعون نعالهم على الرفوف التي توضع عليها المصاحف فأخذت الغيرة أحد الحاضرين وقام في حالة غضب وانفعال ناصحاً القوم، وكان يوم جمعة، فقال: (أيها الناس يجب عليكم أن تنزهوا نعالكم عن هذه المصاحف فإن فيها كلام الله الذي يجب أن يصاب، قال هذه العبارة دون أن يشعر بخطئه ومثل هذا يمكن أن يقال فيه : أخطأ من شدة الغضب فلا يحكم عليه بالكفر لأنه لم يقصد مضمون العبارة وإنما قصد عكسها كما هو واضح).

المبحث الثالث: التأويل :

قد تعرض للفرد، أو الجماعة شبهة تجعلهم يستحلون محرماً اعتماداً على تلك الشبهة معتقدين أنها دليل على ذلك، ولولا هذه الشبهة أو هذا الدليل- في زعمهم- لم يستحلوا ذلك، كما انه لولا هذه الشبهة لحكم عليهم بالكفر ومن ذلك ما حصل من الخوارج استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وأخرجوهم من الإسلام مستدلين على ذلك بنصوص الوعيد في الكتاب والسنة، مع بعد الاستدلال على كثير من القضايا التي استدلو عليها.

ولم يشك أحد من علماء الإسلام في ضلال الخوارج والنصوص فيهم واضحة جداً، ومع ذلك فإن أكثر العلماء لم يكفروهم- وفي الطليعة أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم علي رضي الله عنه، وهو الذي ناصبوه العداء وحاربوه وكفروه، وعندما سئل عنهم قال:

هم من الكفر فروا^(١). وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعتقد حل قتل حاطب رضي الله عنه وخروجه من الصف المسلم فاستأذن الرسول ﷺ قائلاً: يا رسول الله قد خان الله ورسوله دعني أضرب عنقه^(٢) فقال ﷺ: (إنه قد شهد بدرًا) ولا شك أن استحلال دم المسلم كفر، ولكنه لما كان عن تأويل لم يعتبر كفرًا^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً ما فعله بعض السلف من استحلال شرب الخمر في عهد الصحابة رضي الله عنهم مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾^(٤) فلم يكفروا، بل عرفوا تحريمهم فتابوا، وأقيم عليهم الحد، فمن استحل محرماً، وعنده تأويل في ذلك فلا يحكم بكفره إلا إذا أتاه بعد علمه مستحلاً^(٥).

المبحث الرابع: الإكراه.

إذا أكره المسلم على أن يقول كلمة الكفر أو أن يفعل ما يعتبر كفراً، فالأفضل في حقه أن يصبر ولا يقدم على ما طلب منه، كما فعل بلال بن رباح رضي الله عنه عندما كان كفار قریش يعذبونه أشد

(١) فتح الباري (٣٠٠/٢ - ٣٠١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨٣ - ٢٨٤/٣).

(٣) البخاري (٣٠٤/١٢) فتح الباري رقم ٦٩٣٩ وكذا (٣٠٩/١٢) منه.

(٤) سورة المائدة ٩٣.

(٥) التشريع الجنائي (٧٠٧/٢ - ٧٠٨).

عذاب وجد في ذلك العصر ليقول كلمة الكفر، وهو صابر محتسب يردد: أحد أحد! (١).

فإن لم يقدر الصبر وقال كلمة الكفر أو فعل ما يعتبر كفراً، وهو مطمئن القلب بالإيمان فلا يكفر بذلك، كما فعل عمار عندما أكرهه المشركين تحت وطأة التعذيب على كلمة الكفر فقالها ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما حصل فسأله عما يجد في نفسه فقال (إن قلبه مطمئن) (٢) فقال له: إن عادوا فعد، وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله﴾ ويتعرض أهل الإيمان في كل زمان للأذى والتعذيب، وليس كل المسلمين بقادرين على الصمود والصبر حتى النهاية، ولهذا خفف الله تعالى عنهم فلم يكلفهم ما ليس في وسعهم فاكتمى منهم ببقاء القلب مطمئناً بالإيمان وهو سبحانه عالم بما في القلوب (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (٣).

وما يناله المسلمون في هذا العصر من التعذيب الذي لم توجد له وسائل كما وجدت في ذلك العصر يذكرنا بأولئك الصامدين الصادقين أصحاب الحق كأصحاب الأخدود، وبلال وغيرهم من سلف الأمة كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، على الجميع رضوان الله.

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٧ - ٣١٨)

(٢) النحل ١٠٦ وأنظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٠) المغني (٩/ ٢٤) التشريع الجنائي (٢/ ٧١٨).

المبحث الخامس - الهزل :

كلمة الكفر الصادرة من شخص ما قد يكون قائلها جاداً، وقد يكون هازلاً. الجاد هو الذي يقصد ما تضمنته الكلمة الكفرية، والهازل هو الذي لم يقصد ذلك وإنما صدرت منه إستخفافاً وعدم مبالاة مع أنه عالم، عاقل، بالغ، غير مكره، ولا متأول ولا مخطيء فهل يعتبر الهازل مرتدّاً؟.

فيه رأيان :

الرأي الأول: لا يكون مرتدّاً، بل عاصياً لعدم قصده، مضمون ما صدر منه وعلى هذا الرأي الشافعي، والظاهرية، مستدلين بقوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) وهذا لم ينو فلا يكفر.

الرأي الثاني: أنه يكفر، ولا يشترط أن ينوي الكفر، بل مجرد صدور ما يعتبر بظاهره كفراً يكفي للحكم عليه بذلك، فمن تكلم بكلام أو أتى بفعل ظاهرة الكفر فهو مرتد ما دام عالماً بمعناه - في حال تكليفه - مستدلين بأن الشارع قد جعل بعض المعاصي إمارة على وجود الكفر، كالسجود لصنم ونحوه فإنه لا يشترط في تكفير الساجد أن ينوي بسجوده الكفر^(١).

(١) حاشية ابن عابدين (٢٢٢/٤) ، (٧١٩/٢) التشريع الجنائي، (ص ١١٥ - ١١٦)
المسؤولية الجنائية لهنس، : التشريع الجنائي (٧٠٧/٢).

الباب الرابع شروط الردة

وفيه ثلاثة فصول :

- ١ - الفصل الأول - حكم المجنون
- ٢ - الفصل الثاني - حكم الصبي
- ٣ - الفصل الثالث - السكران

الباب الرابع شروط الردّة

وهذه الشروط تتضمن وجود أهلية الشخص بأن يكون عاقلاً، بالغاً، وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول - في حكم المجنون
- الفصل الثاني - في حكم الصبي .
- الفصل الثالث - في حكم السكران .

الفصل الأول حكم المجنون

وفيه مبحثان:

المبحث الأول - من جنونه مستمر وقد انعقد إجماع العلماء على عدم صحة رده لأنه لا إرادة له، والإرادة مناط التكليف كما هو معروف^(١).

المبحث الثاني: من جنونه غير مستمر ذلك بأن الجنون مدة ثم يفيق بعدها مدة. وحكمه صحة رده في حال إفاقته لوجود العقل الذي هو من شرائط الأهلية وعدم صحة رده في حال جنونه لفقد العقل^(٢).

الفصل الثاني حكم الصبي

وهو الذي لا يميز بين التمرة والجمرة وحكمه حكم المجنون باتفاق فلا تصح رده لو حصل منه ما يعتبر ردة لغيره^(٣).

(١) أنظر فتح القدير (١٩٨/٦) المغني (٢٩/٩) رد المحتار (٤/٢٢٤)

(٢) فتح القدير (١٩٨/٦)، المغني (٢٩/٩)، رد المحتار (٤/٢٢٤)، البدائع (٩/٤٣٨٢)
التشريع الجنائي ٧١٣/٢، المسؤولية الجنائية (١١٢) فتاوي... (٤٣١/١٠) (٤٣٧/١٠) (١٠/٤٤١).

(٣) التشريع الجنائي ٧١٥/٢، المسؤولية الجنائية (١٦٢، ١١٠).

المبحث الثاني - المميز :

وهو الذي يميز بين النافع والضار له في الجملة وليس له سن معينة على الصحيح فقد يميز وهو ابن خمس وقد لا يميز وهو ابن سبع ، وأمر الرسول ﷺ بتعليمهم الصلاة إذا بلغوا السبع قد يدل على أن هذا هو الحد الفاصل بين المميز وغيره ، والغالب في مثل هذا السن التمييز ولكن ليس قاطعاً والله أعلم .

مذاهب العلماء في صحة ردة المميز :

١ - ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى صحة ردة الصبي المميز - ولكنه لم يقل بقتله حتى يبلغ - وهذا هو ظاهر مذهب مالك رحمه الله .

٢ - وعند الشافعي رحمه الله لا تصح ردته وهو ظاهر مذهب أحمد رحمه الله وفي رواية عنه صحة ردته كمذهب أبي حنيفة . وهذا الخلاف مبني على صحة إسلام الصبي - فأبو حنيفة يصحح إسلامه ، ويبني على ذلك صحة ردته .

والشافعي لا يصحح إسلامه ولا ردته وعن أحمد ثلاث روايات صحة إسلامه وردته عدم صحتها ، وصحة الإسلام دون الردة .

وقد استدل من صحيح إسلامه دون ردته أو لم يصححها معاً بقوله ﷺ (رفع القلم عن ثلاثة - منهم - والصبي حتى يبلغ)^(١) .

(١) أنظر التمهيد لأبن عبد البر (١/ ١٠٧) .

واستدلال من صحح إسلامه دون رده بهذا الحديث أظهر، ولا حجة فيه لمن نفى صحة إسلامه، لأن الظاهر من الحديث هو رفع الأثم الذي يكتب عليه، لا نفى الأجر الذي يكتب له، وهذا هو الذي يتناسب مع فضل الله ورحمته، والدليل على ذلك العمومات كقوله: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وقد دلت النصوص على صحة عمله من صلاة وحج كما قال للتي سألته عن صبي لها أهذا حج؟ قال (نعم ولك أجر)، وكذلك أمره بتعليم من يبلغ سبعا الصلاة والأمر بضرب من بلغ عشراً عليها.

وقد أسلم علي رضي الله عنه وهو صغير وذلك مشهور في كتب السيرة حيث يعد فيمن أسلم من الصبيان، ويروى أنه قال: سبقتكمو إلى الإسلام طراً صبياً ما بلغت أوان حلمي والله تعالى يقول: ﴿والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم﴾^(١). وهذا هو الذي تسكن إليه النفس أنه يصح إسلامه ولا تصح رده^(٢).

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

(١) الطور ٢١.

(٢) المغني (٣١٩)، المقنع (٥٥٧/٣). فتح القدير (٩٤/٦) رد المختار (٤٥٧/٤) البدائع (٤٣٨٣/٩) التشريع الجنائي (٧١٥/٧) المسؤولية الجنائية ص ١١٠، ١٦٢ المبسوط (١٠/١٢٠).

الفصل الثالث السَّكَرَانُ

فيه مذهبان :

الأول - صحة رده وهو مذهب مالك والشافعي وأظهر الروایتين عن أحمد رحمهم الله واستدلوا على ذلك بأدلة :
الأول - إن الصلاة واجبة عليه .

الثاني - صحة طلاقه .

الثالث - إن عقله ليس زائلاً كلية بدليل إتقائه المحظورات .
المذهب الثاني : عدم صحة رده وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن أحمد .

واستدل على ذلك : بأن عقله الذي يجعله أهلاً للتصرفات لا سيما الإعتقاد الذي لا يوجد بدون قصد .
ثم أن الرسول ﷺ أمر بإستنكاه ما عزر عندما أقر بالزنا خشية أن يكون أقر وهو سكران وذلك دليل على أن تصرف السكران غير معتد به شرعاً . أما ما يقال من أنه يستحق العقاب لاتيانه السكر مختاراً فهذا غير صحيح لأن العقاب مرجعه للشرع والشرع قد حدد عقابه بالجلد فالزيادة عليه زيادة لا دليل فيجب الاقتصار على ذلك وهذا هو الصحيح لظهور أدلته^(١) .

تتمة

لا تثبت الردة إلا من طريقين :

(١) المغني (٢٥/٩) ، المقنع (٥١٩/٣) البدائع (٤٣٨٢/٩) فتح القدير (٩٨/٦) رد المختار

(٤/٢٢٤) الفتاوي (٤٤٢/١٠) ، (١٠٢/٣٣) .

إقرار المرتد، والشهادة على رده بشروطها.

ففي هذه التتمة مطلبان :

المطلب الأول : إقرار المرتد :

لا شك أن أقوى طريق لإثبات المسؤولية هو إقرار المسؤول نفسه فإذا أقر المسلم إنه أرتد عن الإسلام إلى الكفر فقد ثبت حكم الردة في حقه ولا بد أن يكون أهلاً للإقرار كما مضى فإن رجع عن إقراره قبل منه بدليل قصة ما عزر الذي أقر بالزنا وعندما أخذ الصحابة في رجمه هرب فلحقوه ورجموه حتى مات فعلم النبي ﷺ بذلك قال : هلا تركتموه^(٢).

وهذا في حق الله تعالى أما في حق الأفراد فلا يقبل رجوعه عن الإقرار^(٣).

المطلب الثاني - الشهادة بشروطها :

فإذا شهد شاهدان وهما أهل للشهادة بحيث تتوفر فيهما الشروط المطلوبة، وهي أن يكونا عاقلين بالغين حرين عدلين ذكرين وألاً يرجعا عن شهادتهما، ثبتت الردة على شهداً عليه فإن أنكر وقال أنا لا أزال على إسلامي قبل قوله ونظر في صحة إدعائه فإن أظهر ما يصير به الشخص مسلماً ترك وشأنه، وإن تصرف تصرف الكافر كان ذلك تأكيداً لشهادة الشهود فيكون مرتد^(٣).

(١) سبل السلام (٤ / ٧).

(٢) نظرية الإثبات لبهنسى (١٣٦، ١٦١).

(٣) راجع نظرية الإثبات لبهنسى.

الباب الخامس بعض أحكام المرتد

به فصلان :

- ١ - الفصل الأول - توبة المرتد واستتابته
- ٢ - الفصل الثاني - ما يترتب على ثبوت الردة.

الباب الخامس بعض أحكام المرتد

أحكام المرتد كثيرة متنوعة تحتاج وحدها إلى كتاب مستقل ولذلك سأجدي مضطراً في هذا البحث إلى ذكر المهمات منها على سبيل الاجمال لا التفصيل لعدم اتساع الوقت خصوصاً وقد كنت أردت إرجاء الكلام عن هذه الأحكام في هذا البحث لولا أن اخلاءه من بعضها فيه من قصور قد لا يغتفر فاستعنت الله وكتبت المتيسر منها ويتكون هذا الباب من فصلين:

الفصل الأول

توبة المرتد وأسيتابته

تمهيد :

حث الله عباده جميعاً أن يتوبوا إليه من كل ذنب قال تعالى : ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ .

وكان الرسول ﷺ يكثر من الاستغفار والتوبة إلى ربه ففي الحديث الصحيح إنه قال : (والله إني لاستغفر الله واتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) وبين ﷺ أن باب التوبة مفتوح للمسيء فقال : (إن الله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) ولا بد أن تكون التوبة عن اختيار من العبد رغبة فيما عند ربه ورهبة من عذابه للعصاة ولذلك لا تقبل التوبة عند طلوع الشمس من مغربها ولا عند الغرغرة لأن التائب عندئذ راهب مقهور غير راغب ومضطرب غير مختار .
وأجمع العلماء على وجوب التوبة من الذنب .

المبحث الأول - توبة المرتد :

إذا رجع المرتد إلى الله وأعلن توبته بنفسه قبلت توبته وأصبح واحداً من المسلمين، ولكن هل تقبل توبة جميع المرتدين؟ في ذلك خلاف :

١ - فذهب بعض العلماء إلى أن التوبة تقبل من أي مرتد كان كما تقبل من الكافر الأصلي واستدلوا بعموم النصوص الواردة في التوبة من الكتاب والسنة وهذا هو المشهور في مذهب الشافعي ورواية عن أحمد وقول في مذهب أبي حنيفة.

٢ - وذهب آخرون وهم الأكثر وهو مذهب مالك وأحمد في أظهر الروايتين عنه وطائفة من أصحاب الشافعي وهو قول آخر لأبي حنيفة إلى أن التوبة لا تقبل من الزنديق «المنافق» لأنه يظهر خلاف ما يبطن فلا يعلم صدقه ولكنه إذا فرض إنه صادق في توبته في نفس الأمر نفعه ذلك عند الله . وكان الحد تطهيراً له كالزاني يجد بعد رفع أمره إلى الحاكم وهو نائب^(١).

وكذلك اختلف فيمن تكررت رذته فرأى بعض العلماء قبول توبته للعموم الوارد في النصوص ورأى آخرون عدم قبولها لأن تكرار الردة منه يدل على استخفافه واستهانتة بالإسلام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾^(٢). وقد حملها الآخرون على من مات على كفره أو تاب في وقت لا تقبل فيه التوبة كالتائب عند طلوع الشمس من مغربها أو عند الغرغرة بدليل تقييد عدم التوبة في النصوص الأخرى بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا

(١) فتاوي (٧/٤٧١)، (٣٥/١١٠)، المقنع (٣/٥١٩) فتح القدير (٦/٧١) إعلام الموقعين (٣/١٣١) حاشية الدسوقي (٤/٣٠٦).

(٢) النساء ١٣٧.

وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو اقتدى به وأولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴿١﴾.

المبحث الثاني: إستتابة المرتد:

إختلفوا في حكم الإستتابة:

فذهب بعض العلماء إلى وجوبها فلا يقتل المرتد حتى يستتاب. وعللوا ذلك بأن المرتد قد يكون عرضت له شبهة كانت سبباً في ارتداده، ومن المحتمل أن تزول إذا أمهل وطلب رجوعه بمراجعته نفسه ونظره في شبهته بنفسه أو سؤال أهل العلم عنها.

والأصل في الدماء أن تصان ولا تراق إلا عن بينة، وما دام الاحتمال قائماً فلا يجوز إراقتها، وهذا هو الراجح في مذهب الإمام أحمد والشافعي أيضاً وذهب آخرون إلى أنه لا يجب استتابته إلا إذا طلب المهلة فإنه يمهل وجوباً وسيأتي ذكر مدة الإمهال والإستتابة.. ولكن الإستتابة مستحبة واستدلوا بعموم الحديث «من بدل دينه فاقتلوه» ولم يقيده بالإستتابة وهذا هو القول الثاني للشافعي والرواية الأخرى عن أحمد وهو مذهب أبي حنيفة^(٢).

المبحث الثالث: مدة الإمهال أو الإستتابة:

سبق أن الحنفية يرون وجوب إمهال المرتد إذا طلب ذلك وإن المذهب الراجح عند الشافعي وأحمد وجوب الإستتابة، فما المدة التي

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية (١٦/ ٢٧، ٣٢).

(٢) المغني (٤/٩) المقنع (٥١٦/٣) حواشي تحفة المحتاج (٩٦/٦) فتح القدير (٦٨/٦) المبسوط (٩٩/١٠).

يجب أن تضرب للإمهال عند الحنفية وللإستتابة الواجبة عند غيرهم؟

إختلف العلماء في تحديد هذه المدة؟

١ - فحددها بعضهم بثلاثة أيام، قالوا لأن الشارع قد جعلها مدة لإبلاء الأعذار بدليل حديث حبان في الخيار ثلاثة أيام، وبهذا قال الحنفيون والحنابلة.

٢ - وحددها بعضهم بثلاث مرات فإن تاب وإلا قتل، وهذا رأي الزهري.

٣ - وذهب آخرون إلى أنه يستتاب في الحال فإن تاب وإلا قتل فوراً وهو قول الشافعي، وهذا المذهب قريب من المذهب الثاني ولكن الفرق موجود في الظاهر، وهو أن المذهب الثاني فيه التكرار للإستتابة والثالث ظاهره عدم ذلك.

٤ - وهناك قول شاذ، وهو إنه يستتاب أبداً، وهو مخالف للنصوص ولعمل سلف الأمة وإجماعهم.

والذي يظهر أن الإستتابة واجبة وأن الامهال لمدة ثلاثة أيام واجب أيضاً لما في الموطأ أن رجلاً قدم على عمر بن الخطاب من قبل أبي موسى الأشعري فسأله عن الناس فأخبره ثم قال له عمر هل كان فيكم من مغربة خبر فقال: نعم رجل كفر بعد إسلامه قال فما فعلتم به قال قربناه فضربنا عنقه فقال عمر أفلا حبستموه ثلاثاً واطعمتموه كل يوم رغيفا واستبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله ثم قال عمر: أَللّٰهُمَّ

إني لم أحضر ولم أمر ولم أَرْض إِذْ بَلَغَنِي^(١) ..

المبحث الرابع: صورة توبة المرتد:

وصورة توبة المرتد أن يدخل الإسلام من جديد، فيقول أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فإن كانت ردة بسبب إنكار واجب أو تحليل محرم أو جحد نبي أو كتاب فلا بد أن يقر بما جحد، ويرى بعض العلماء إنه لا بد مع الشهادتين أن يتبرأ من الدين الذي انتقل إليه^(٢).

(١) المغني ٦/٩ المقنع (٥١٦/٣) حواشي تحفة المحتاج (٩٨/٦) فتح القدير (٦٨/٦) الموطأ (٧٣٧/٢) بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
(٢) الميسوط (٩٩/١٠)، المقنع (٥٢٠/٣).

الفصل الثاني

مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ثُبُوتِ الرَّدَّةِ

تمهيد:

إذا ثبتت الردة على الشخص ترتب عليها أحكام أخروية وأحكام دنيوية وأهم الأحكام المتعلقة بالآخرة حبوط العمل والخلود في نار جهنم ، أعاذنا الله منها ، وقد وردت بذلك نصوص كثيرة وقد جمعت الأمرين معاً آية البقرة: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أما الأحكام المتعلقة بالدنيا فكثيرة نذكر ما تيسر منها في المباحث التالية :

المبحث الأول: قتل المرتد:

يجب أن يقتل المرتد إذا لم يتب ، ولا فرق بين الرجل والمرأة في ذلك على الصحيح من أقوال أهل العلم وعلى هذا الرأي جماهير العلماء ، واستدلوا بأدلة :

١ - عموم قوله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » والصحيح عند أهل الأصول أن « من » شاملة للذكر والأنثى قال في مراقبي السعود: « وما شمول من للأنثى جنف ».

٢ - قوله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث :
الثيب الزاني، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة »
والأحكام الثلاثة المذكورة في الحديث يجب أن تكون كلها شاملة
للذكر والأنثى ولا يؤثر على ذلك ورد لفظ « امرئ ». بدليل أن الزانية
ترجم إذا كانت محصنة مثل الرجال، وكذا القاتلة عمداً .
ولا يرد أيضاً دلالة الاقتران ضعيفة لأنها هنا قوية بأدلة أخرى
خارجية .

٣ - ومن أصرح الأدلة في ذلك التنصيص على قتل المرتدة كما وقع
في بعض الروايات في حديث معاذ عندما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن
قال له «أيا رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه ،
وأيا امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها وإلا فاضرب عنقها» ذكر هذه
الرواية احافظ في فتح الباري وحسنها ، ثم قال : (وهو نص في موضع
النزاع فيجب المصير إليه ، ويؤيده إشتراك الرجال والنساء في الحدود
كلها ، كالزنا والسرقه وشرب الخمر والقذف) .

وإذا أنعمت النظر في هذه الأدلة وجدت كل واحد منها صالحاً
للاحتجاج به على حدة فكيف بها مجتمعة .
وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن المرأة لا تقتل بل تجلس ويضيق
عليها حتى تتوب واستدل على ذلك بالنهي عن قتل النساء وبأن المرأة
لا تقتل بالكفر الأصلي فلا تقتل بالكفر الطارئ .
وهذا الاستدلال غير ناهض فالتنهي ورد في الكافرة الأصلية كما هو
واضح في القصة التي ورد التنهي بسببها ولو فرضنا العموم لكان الأمر

بقتل المرتد معارضاً له بعمومه فكيف وقد ورد الأمر بقتل المرتدة بخصوصه . ثم أنه فرق بين الكفر الأصلي والكفر الطارئ من وجوه أهمها أن الرجل يقر على كفره الأصلي ولا يقر على الكفر الطارئ^(١) .

المبحث الثاني : من يتولى قتل المرتد :

والذي يتولى قتل المرتد هو الإمام أو نائبه مطلقاً - أي سواء كان المرتد حراً أم عبداً وعلى هذا عامة أهل العلم .

ويرى الشافعي في أحد الوجهين عنه أن قتل العبد لسيدته ، والظاهر الأول فإن قتله غير الإمام فقد أساء ويعزر ولا ضمان عليه لأنه قتل غير معصوم الدم ، سواء قتله قبل الاستتابة أو بعدها ، ويقتل بأيسر الآلات قتلاً كالسيف والبندقية ونحوهما ولا يجوز قتله بالاحراق بالنار لقوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه ولا تعذبوا بعذاب الله» وقوله ﷺ «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة» ولا يعارض هذا ما روي من أن أبا بكر رضى الله عنه أمر بإحراق المرتدين ، لأمرين الأول : مخالفة ذلك للنصوص الصريحة كما مضى الثاني : إن ثبوت ذلك عن أبي بكر يحتاج إلى بحث والغالب عدم صحة ذلك عنه^(٢) .

المبحث الثالث - ملك المرتد :

يختلف العلماء في ملك المرتد أيزول برده أم لا ؟

(١) فتح الباري (١٢/٢٧٢) المغنى (٩/٣) المقنع (٣/٥١٦) فتح القدير (٦/٧١) .

(٢) المغنى (٩/٦) المقنع (٣/٥١٦) .

١- فذهب بعضهم إلى أن ملكه يزول موقوفاً إلى أن يتبين حاله فإن أسلم عاد إلى حاله وإلا استمر زوال ملكه، وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله وأصح قول الشافعي.

٢- وذهب آخرون إلى أنه لا يزول إلى أن يقتل أو يموت على رده، لأنه مكلف محتاج مثل المحكوم عليه بالقصاص أو الرجم إذ كل منهما مكلف مباح الدم وهذا قول مالك ورواية لأحمد وقول آخر للشافعي. وحجة أبي حنيفة أنه كافر حربي مقهور تحت أيدينا إلى أن يقتل وذلك يوجب زوال الملك ولكن لما كان مدعواً إلى الإسلام ويرجى أنه يعود إليه توقف في أمره فإن أسلم اعتبرت حالة الإرتداد عارضة في حكم العدم ورجع ملكه إليه، وإلا صار زواله نافذاً فعلاً بقتله أو موته مرتداً.

٣- وهناك رأي ثالث: وهو أن ملكه يزول أصلاً بمجرد رده فإن عاد إلى الإسلام عاد إليه تملكاً مستأنفاً وإلا بقي على ما هو عليه من عدم استحقاقه.

والذي يظهر عدم زوال ملكه ولذلك قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم^(١).

ويوضع ماله في حال رده على الرأيين الأول والثالث عند ثقة من المسلمين، وإما عند امرأة ثقة من المسلمات حتى يتبين أمره^(٢).

(١) فتح القدير (٦/٧٣) المغنى (٩/٩) المقنع (٣/٥٢٢) حواشي التحفة (٦/٩٩).

(٢) المغنى (٩/١٠).

المبحث الرابع - مآل ماله بعد موته :

يجب أن يبدأ بقضاء دينه، وأرثى جنايته ونفقات زوجته وأقاربه، وما بقي بعد ذلك فيه أربعة مذاهب:

المذهب الأول - إنه فيء لبيت مال المسلمين لأن الكافر لا يرث ولا يورث ولأن ماله أصبح بمنزلة مال الحربي، وهذا مذهب الشافعي ومالك ورواية عن أحمد.

المذهب الثاني - إنه لورثته المسلمين لأن رده تعتبر بمنزلة الموت فموته معتبر من وقت رده، وهو رواية عن أحمد.

المذهب الثالث - إنه لورثته من أهل الدين الذي انتقل إليه، وهو رواية عن أحمد، وبه قال محمد وأبو يوسف صاحباً أبي حنيفة.

المذهب الرابع: إن ما اكتسبه في حال إسلامه يرثه المسلمون وما اكتسبه حال رده يكون مضيئاً لبيت مال المسلمين^(١).

* والراجح هو المذهب الأول والله أعلم..

المبحث الخامس - تصرفات المرتد:

قسم العلماء تصرفات المرتد إلى أربعة أقسام:

قسم باطل باتفاق: كالنكاح والذبيحة.

وقسم نافذ باتفاق: كالإستيلاء، لأنه لا يفتقر إلى حقيقة الملك، والطلاق لأنه لا يفتقر إلى تمام الولاية.

وقسم موقوف باتفاق: كالمفاضة لعدم المساواة بين المسلم والكافر

(١) المغنى (٩/٩)، فتح القدير (٦/٧٥، ٨٠)، القنع (٣/٥٢٢).

ومختلف فيه كبقية التصرفات مثل البيع والشراء والعق والهبة والرهن:

١ - فرأى بعضهم إنها موقوفة:

٢ - ورأى آخرون إنها باطلة.

٣ - وفصل بعضهم بين تصرفاته قبل الحجر عليه وبين تصرفاته بعده^(١).

المبحث السادس - حكم الزوجين المرتدين إذا لحقا بدار الحرب:

إذا لحق المرتد وزوجته المرتدة بدار الحرب فلا يجوز استرقاقهما، لأن النبي ﷺ أمر بقتل المرتد والمرتدة كما مضى، واسترقاقه يستلزم إقراره على دينه وذلك ممتنع كما هو معروف.

وذهب أبو حنيفة إلى جواز استرقاق المرأة واستدل لمذهبه بأمرين:

الأول أن أبا بكر رضي الله عنه سبى بني حنيفة واسترق نساءهم.

والثاني: ما روي عن علي رضي الله عنه أن المرتدة تسبى، وهو

استدلال غير سليم لأن الذين سباهم أبو بكر لم يثبت أنهم كانوا مسلمين حتى يثبت لهم حكم الردة وما روي عن علي ضعفه الإمام أحمد^(٢).

المبحث السابع - حكم أولادهما:

أولاد المرتد الذين حدثوا قبل الردة محكوم بإسلامهم فلا يجوز

(١) فتح القدير (٦/٨٢)، تكملة المجموع (١٨/١٨)، المغنى (٩/١٠، ١٣) المقنع (٣/٥٢٢).

(٢) المغنى (٩/١٦) فتح القدير (٦/٩٢).

استرقاقهم صغاراً لأنهم مسلمون، ولا كباراً لأنهم إن بقوا على الإسلام فظاهر وإلا فهم مرتدون والمترد حكمه القتل ولا يجوز إقراره.

أما الذين حدثوا بعد الردة فهم كفار تبعاً لأبائهم فهل يجوز استرقاقهم؟ ذهب بعض العلماء إلى جواز استرقاقهم لأنهم كفار من والدين كافرين.

وذهب بعض العلماء إلى جواز استرقاقهم لأنهم كفار من والدين كافرين.

وذهب بعضهم إلى عدم جواز الإسترقاق تبعاً لأبائهم وهو بعيد وفصل أبو حنيفة بين المولودين في دار الإسلام فلا يجوز استرقاقهم وبين من ولدوا في دار الحرب فيجوز إسترقاقهم^(١).

(١) المغنى (١٦/٩) فتح القدير (٩٢/٦).

نتائج البحث :

تبين من هذا البحث أن الردة عن الإسلام من أعظم الأخطار التي تهدد بنيان هذا الدين ، وأن الحكم الرباني في المرتد في غاية الحكمة ، لأنه بذلك يردع الخارجين على دين الله ويبقي للإسلام هيئته وتماسك أهله واعتصامهم جميعاً بحبل الله ، كما يسد الباب أمام اعداء الله من التسلك إلى الصف الإسلامي لخلخلته وهذّ بنيانه .

كما ظهر أن الردة في هذا العصر ردة شاملة ذات أسباب كثيرة مع قوتها ودقة تنظيمها ، وقلة المسلمين ذوي الأهلية التي تجعلهم قادرين على التصدي لها وإنائها . .

وهذا يوجب على كل مدرك لأخطار الردة أن يشمروا عن ساعد الجد وينفضوا غبار النوم والكسل عنهم ويضاعفوا جهودهم للعمل على إجتثاث أسباب الردة من جذورها بتعميق أركان الإيمان في نفوس أبناء الإسلام بأدلتها وحججها المقنعة ودحض الشبهات التي يوردها أعداء الإسلام على أصول هذا الدين وفروعه والحيلولة دون شباب المسلمين وبين أعدائهم الذين لا يألون جهداً في إخراجهم عن دينهم بشتى الشبهات والشهوات . .

وقد تعرض البحث للأبواب المهمة في هذا الموضوع الخطير، وهو

مع إيجازه، يفتح الباب للباحث المتمرس والعالم المتعمق وينير الطريق
لطالب النجاة من ظلمة الكفر بعد أن تمتع بنور الإسلام...
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه..

عبد الله بن أحمد قادري
المدينة المنورة
في

٢٨ / ٥ / ١٣٩٩ هـ.

المراجع

اسم المؤلف	الطبعة	اسم المراجع
		القرآن الكريم
		كتب التفسير
أبو جعفر: محمد بن جرير الطبري .	٢ مطبعة الحلبي	جامع البيان عن تأويل القرآن
أبو الفداء إسماعيل بن كثير	دار إحياء الكتب العربية- الحلبي	تفسير القرآن العظيم
أبو الفضل السيد محمود الالوسي	الطبعة المنيرية مصر	روح المعاني
محمد الأمين بن محمد المختار السقيطي .	مطبعة المدني	أضواء البيان
محمد فؤاد عبد الباقي	دار احياء الكتب العربية- الحلبي	اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
الإمام محمد بن إسماعيل البخاري	المكتبة السلفية	صحيح البخاري
بشرح ابن حجر .	الخطيب	وشرحه فتح الباري
الإمام مسلم بن الحجاج والإمام يحيى بن شرف النووي .	المطبعة المصرية بالأزهر	مسلم، وشرحه للنووي
الإمام مالك بن أنس .	دار إحياء الكتب العربية	الموطأ
الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني .	١ الحلبي	سنن أبي داود
الإمام الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي .	الحلبي	سنن النسائي
الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر	١ المطبعة الملكية الرباط	التمهيد
الإمام محمد بن إسماعيل الأمير زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين المشهور بإبن رجب .	مطبعة الحلبي ٣ مطبعة .	سبل السلام جامع العلوم والحكم

شرح الطحاوية	٣ من منشورات جمال الدين يوسف بن موسى الملطبي المكتب الإسلامي دمشق
تيسير العزيز الحמיד شرح كتاب التوحيد	١ من منشورات الشيخ سليمان بن عبد الله المكتب الإسلامي ابن محمد .
إقتضاء الصراط المستقيم	مطبعة الحكومة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم مكة المكرمة ابن تيمية .
مدارج السالكين	مطبعة السنة الإمام المحقق أبو عبد الله محمد المحمدية القاهرة ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية .
الله جل جلاله	١ دار الدعوة سعيد حوى . بيروت
الوجود الحق	٢ من منشورات د. حسن هويدي المكتب الإسلامي
الطريق الى الله	١ دار الفتح للطباعة د. تقي الدين الهلالي والنشر بيروت
مبادئ الإسلام عقيدة المسلم	للاستاذ: أبو الأعلى المودودي ٤ دار الكتاب للاستاذ: محمد الغزالي العربي مصر
السيرة النبوية البداية والنهاية	٢ الحلبي مصر محمد بن عبد الملك بن هشام ١ مطبعة السعادة الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير
حاضر العالم الإسلامي	٣ دار الفكر تعليقات الأمير شكيب إرسلان
مجموع الفتاوى	١ جمع وترتيب عبد الرحمن (وهي الوحيدة في المراجع ابن محمد بن قاسم بهذا الاسم) شيخ الإسلام ابن تيمية .
المغني	مطبعة الفجالة بتحقيق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن طه الزيني . محمد بن قدامة .
الكافي	من منشورات المكتب أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الإسلامي قدامة
المقنع	المطبعة السلفية

متهى الإرادات	دار الجيل للطباعة	تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحى
مطالب أولى النهى	من منشورات المكتب	الشيخ مصطفى السيوطى .
	الإسلامى	
كتاب الصلاة	مطبعة الإمام	الحافظ بن قيم الجوزية
الأم	دار الشعب	الإمام محمد بن إدريس الشافعى
المجموع وتكملته	مطبعة العاصمة	الإمام محى الدين النووى
حاشية الدسوقي	دار إحياء الكتب العربية	العلامة شمس الدين محمد عرفة
	الدسوقي	
حواشى تحفة المحتاج	حلبى	العلامة عبد الحميد الشروانى
		والعلامة أحمد بن قاسم العبادى
المبسوط	١ مطبعة السعادة	الإمام أبو بكر محمد بن أبى سهل
	السرخسى	
بدائع الصنائع	مطبعة الإمام	العلامة علاء الدين أبو بكر بن
		مسعود الكسانى
حاشية ابن عابدين	٢ مطبعة الحلبي	للعلامة محمد علاء الدين أفندى
المحلى	المكتب التجارى للطباعة	أبو محمد على بن أحمد بن سعيد
	والنشر ببيروت	ابن حزم
فقه السنة	دار الكتاب العربى	السيد سابق
	للطباعة والنشر	
المسؤولية الجنائية	٢ الحلبي	أحمد فتحى بهنس
نظرية الاثبات	الشركة العربية للطباعة والنشر	أحمد فتحى بهنس
فقه الزكاة	مؤسسة الرسالة	يوسف القرضاوى
التشريع الجنائى الإسلامى	٢ مطبعة المدنى	عيد القادر عودة
المفردات فى غريب القرآن	طبعة هندية	العلامة الحسين محمد بن
لسان العرب لابن منظور ^(١)		الفضل الراغب الأصفهاني
القاموس المحيط	دار لسان العرب ببيروت	العلامة محمد بن مكرم الأنصارى
	الشهير بإبن منظور	
	مطبعة السعادة	مجد الدين محمد بن يعقوب
	الفيروزآبادى	
النهاية فى غريب	٢ دار إحياء الكتب للإمام	مجد الدين أبى السعادات

المبارك بن محمد الجزري بن الاثير
محمد محمد حسين

محمد محمد حسين

ترجمة محب الدين الخطيب

محمد الغزالي

محمد الغزالي

محمد الغزالي

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

محمد قطب

محمد قطب

ماجد كيلاني

محمد البهي

المودودي

عبد القادر عودة

أبو الحسن الندوي

سعد حوى

أبو الحسن الندوي

المدينة المنورة

الرياض

العربي حليمي

الحديث

حصولنا مهددة

من داخلها

الاتجاهات الوطنية

في الأدب المعاصر

الغارة على العالم الإسلامي

الإستعمار أحقاد وأطماع

ظلام من الغرب

كفاح دين

نحن والحضارة الغربية

الإسلام والمدينة الحديث

التطور والثبات

جاهلية القرن العشرين

الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي

الفكر الإسلامي الحديث

ما هي القاديانية

الإسلام وأوضاعنا القانونية

ردة ولا أبا بكر لها

جند الله ثقافة وأخلاقاً

نحو تربية إسلامية حرة

مجلة الجامعة الإسلامية

جريدة الدعوة

الفهرس

المقدمة ٣

مقدمة الطبعة الثانية ٩

الباب الأول

الفصل الأول: تعريف الردّة ١٣

الفصل الثاني: معنى الاسلام ١٦

الفصل الثالث: معنى الكفر ٢١

الباب الثاني: الردّة على مدار التاريخ الاسلامي ٢٩

الفصل الأول: خطر الردّة وأقسامها ٣١

الفصل الثاني: الردّة في العصور الأخرى ٣٦

الباب الثالث: أركان الردّة ٤٥

الفصل الأول: الركن المادي ٤٧

الفصل الثاني: القصد الجنائي ٧٨

الباب الرابع: شروط الردّة ٨٥

الفصل الأول: حكم المجنون ٨٩

الفصل الثاني: حكم الصبي ٨٩

الفصل الثالث: السكران ٩٢

٩٥ الباب الخامس بعض أحكام المرتد
٩٩ الفصل الاول : توبة المرتد واستتابته
١٠٤ الفصل الثاني : ما يترتب على ثبوت الردّة
١١١ خاتمة
١١٣	المراجع